رفض الغاوي

في اجوبة أحمد الصاوي

(الشيخ أحمد بن محمد الخلوتي الصاوي المالكي)

جمع وترتيب :

عبد القادر جيلاني المدوري





دار زين العابدين

بيروت - لبنان



رفض الغاوي

في اجوبة أحمد الصاوي



جمع وترتيب

عبد القادر جيلاني المدوري





١٤٤٠ هـ . ٢٠١٨ م

دار زين العابدين

بيروت - لبنان

DarZainulabedin@Hotmail.com

رفض الغاوي

في اجوبة أحمد الصاوي

(الشيخ أحمد بن محمد الخلوتي الصاوي المالكي)

جمع وترتيب

عبد القادر جيلاني المدوري

دار زين العابدين

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أحيا بما شاء مآثر الآثار بعد الدثور، ووفق لتفسير كتابه العزيز من الخبر المأثور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تضاعف لصاحبها الأجور، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أسفر فجره الصادق فمحا ظلمات أهل الزيغ والفجور، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ذوي العلم المرفوع والفضل المشهور صلاة وسلاما دائمين ممر الليالي والدهور.

أما بعد ...

فهذه رسالة لطيفة جمعت فيها اجوبة الشيخ أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي المالكي، (١١٧٥ – ١٢٤١ هـ) للمسائل المهمة في حاشية الصاوي على تفسير الجلالين (جلال الدين المحلي، وتلميذه النجيب جلال الدين السيوطى).

وسميته :

" رفض الغاوي في اجوبة أحمد الصاوي "

والله أسأل أن ينفع بها كما نفع بأصله المبتدئين مثلي، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يجبر الخلل ويسد العيب، وأن يقبله على ما فيه من قصور همة وفتور نية، فهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كتبه

عبد القادر جيلاني المدوري

﴿١﴾

{الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة/٢]

قوله: وجمع {الْعَالَمِينَ} جمع قلة من كثرتها جداً في الواقع تنبيهاً على أنهم وإن كثروا، فهم قليلون في جانب عظمته. تعالى.

❖ إن قلت: الجمع يقتضي اتفاق الأفراد في الحقيقة

- أجيب: بأنها متفقة من حيث إن كلاً منها علامة على موجدها.

﴿٢﴾

{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} * {صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم وَلاَ الضَّآلِّينَ} [الفاتحة/٦، ٧] وهم النصارى ونكتة البدل إفادة أن المهتدين ليسوا يهودا ولا نصارى والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد و على آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبدا وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيمِ

❖ إن قلت: ما فائدة الاتيان بـ {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم} الخ، بعد قوله: {الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ}

- أجيب: بأن الإيمان إنما يكمل بالرجاء والخوف، فقوله: {الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} يوجب الرجاء الكامل، وقوله: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِم} الخ، يوجب الخوف الكامل، فيتقوى الإيمان بالرجاء والخوف.

﴿٣﴾

{ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة/٢]

قوله: {ذَلِكَ} اسم الإشارة مبتدأ واللام للبعد والكاف حرف خطاب والكتاب

نعت لاسم الإشارة أو عطف بيان وجملة لا ريب فيه خبر كما قال المفسر.

قوله: (أي هذا) أشار بذلك إلى أن حق الإشارة أن يؤتى بها للقريب وسيأتي الجواب عنه. قوله: {الْكِتَابُ} بمعنى المكتوب وهو القرآن،

❖ إن قلت إن القران قريب فلا يشار له بإشارة البعيد.

- أجاب المفسر بقوله والإشارة به للتعظيم، أي والقرآن وإن كان قريباً منا إلا أنه مرفوع الرتبة وعظيم القدر من حيث إنه منزه عن كلام الحوادث، وذلك كمناداة المولى سبحانه وتعالى بيا التي ينادي بها البعيد مع كونه اقرب إلينا من حبل الوريد، لكونه سبحانه منزها عن صفات الحوادث، فنزل تنزهه عن الحوادث منزلة بعدنا عنه، والكتاب في الأصل مصدر يطلق بمعنى الجمع.

❖ إن قلت إن قوله تعالى: {لاَ رَيْبَ فِيهِ} خبر وهو لا يتخلف، مع أن بعض الكفار ارتاب فيه حيث قالوا: سحر وكهانة وأساطير الأولين إلى غير ذلك

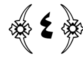
- أجيب بأجوبة أحسنها أن قوله: {لاَ رَيْبَ فِيهِ}، أي لمن أذعن وأقام البرهان وتأمل، فلا ريب للعارفين المنصفين، وأما من عاند فلا يعتد به، (إن هم إلا كالإنعام بل هم أضل) ومنها أن معنى قوله: {لاَ رَيْبَ فِيهِ} أي لا ينبغي أن يرتاب فيه لقيام الأدلة الواضحة على كونه من عند الله. ومنها أن المعنى {لاَ رَيْبَ فِيهِ} أي للمؤمنين، وأما الكافرون فلا يعتد بهم، فالجواب الأول عام، فمن تأمل لا يحصل له ريب مسلما أو كافراً أو جحده بعد ذلك عناداً، والجواب الثاني أنه نفي بمعنى النهي، والثالث خاص بالمسلم.

❖ إن قلت إنه لا يشار إلا المحسوس أو الإشارة لما في المصاحف أو اللوح المحفوظ.

- (والإشارة به للتعظيم) تقدم أن هذا الجواب عن سؤال مقدر

❖ إن قلت إن القرآن هدى بمعنى مبين طريق الحق من الباطل للناس مؤمنهم وكافرهم فلم خص المتقين؟

- أجيب بأنه خصهم بالذكر لكونهم انتفعوا بثمرته عاجلاً وآجلاً وهذا إن اريد به البيان حصل وصول للمقصود أم لا؟ وأما إن إريد به الوصول للمقصود فالتخصيص ظاهر، وأصل متقين متقيين استثقلت الكسرة على الياء الاولى فحذفت الياء فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقاء الساكنين.



{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} [البقرة/٦]

قوله: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ} ......إلى أن قال، وإن حرف توكيد ونصب والذين كفروا اسمها وجملة لا يؤمنون خبرها، وجملة سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم معترضة بين اسم إن وخبرها، وإعرابها أن تقول على المشهور سواء اسم مصدر مبتدأ بمعنى مستو، وسوغ الابتداء به تعلق الجار والمجرور به، وأأنذرتهم أم لم تنذرهم مؤول بمفرد خبر تقديره مستو عليهم إنذارك وعدمه، وهو فعل مسبوك بلا سابك

❖ إن قلت إن خبر المبتدأ إذا وقع جملة لا بدله من رابط.

- اجيب بأن الخبر عن المبتدأ في المعنى وهو يكفي في الربط . وأجيب أيضاً بأن محل الاحتياج للرابط ما لم يؤول الخبر بمفرد وإلا فلا يحتاج للرابط، وقولهم لا بد للعفل من سابك اغلبي ويصح العكس، وهو أن الجملة مبتدأ مؤخر وسواء خبر مقدم.

﴿٥﴾

{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لأَدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة/٣٤]

قوله: {وَ} اذكر {إِذْ قُلْنَا} أشار المفسر بذلك إلى أن إذ ظرف عاملها محذوف والتقدير واذكر وقت قولنا إلخ

❖ إن قلت إن المقصود ذكر القصة لا ذكر الوقت

▪ أجيب بأن التقدير ذكر القصة الواقعة في ذلك الوقت، ومحصل ذلك أنه بعد خلق آدم ونفخ الروح فيه، وعرض المسميات على الملائكة، وإنباء آدم لهم بالأسماء أمرهم بالسجود له لأنه صار شيخهم، ومن حق الشيخ التعظيم والتوقير، وكان ذلك كله خاوٍ.

﴿٦﴾

{وَقُلْنَا يَآآدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ} [البقرة/٣٥]

قوله: {وَقُلْنَا يَآآدَمُ} هذه الجملة معطوفة على جملة (وإذا قلنا للملائكة) من عطف قصة على قصة وإنما عطفت عليها لوقوعها بعدها، فإنه بعد أمر الملائكة بالسجود لآدم، وامتناع إبليس منه، أمر آدم بسكنى الجنة، قوله: (ليعطف عليه) {وَزَوْجُكَ}

❖ إن قلت إن فعل لأمر يعمل في الظاهر والمعطوف على الفاعل فاعل فيقتضي عمله في الظاهر

▪ أجيب بأنه يغتفر في التابع ما لا يغتفر في المتبوع، وفصل بالضمير المنفصل لقول ابن مالك:

وإن على ضمير رفع متصل...عطفت فافصل بالضمير المنفصل

﴿٧﴾

،{فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا – أي الجنة بأن قال لهما : هل أدلكما على شجرة الخلد وقاسمهما بالله انه لهما لمن الناصحين فأكلا منها – فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} [البقرة/٣٦]

- قوله: (بأن قال لهما) أي وهو خارج الجنة وهما داخلها لكن أتوا على بابها فقال لهما ذلك، ويحتمل أنه دخل الجنة على صورة دابة من دوابها وخزنتها غفلوا عنه، ويحتمل أنه دخلها في فم الحية، ويحتمل أنه وسوس في الأرض فوصلت وسوسته لهما

- إن قلت إن ذلك ظاهر في حواء لعدم عصمتها وما الحكم في آدم

- أجيب بأنه اجتهد فأخطأ فسمى الله خطأه معصية، فلم يقع منه صغيرة ولا كبيرة، وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين فلم يتعمد المخالفة، ومن نس ب التعمد والعصيان له بمعنى فعل الكبيرة أو الصغيرة فقد كفر، كما أن من نفى اسم العصيان عنه فقد كفر أيضاً لنص الآية.

﴿٨﴾

{وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ } [البقرة/٤٩]

- قوله: {سُوءَ الْعَذَابِ} اسم جامع لكل ما يعم النفس كالشر وهو ضد الخير

- إن قلت إن العذاب شيء

- أجاب المفسر بأن المراد أشده.

﴿٩﴾

{وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} [البقرة/٦١]

- ❖ إن قلت: ظاهر الآية أنهم متمكنون من الإنتقال، مع أن الأمر ليس كذلك
- ■ أجيب: بأن ذلك على سبيل التوبيخ واللوم عليهم في ذلك تقديم الكلام، أن مطلوبكم يكون في الأمصار، فإن كنتم متمكنين منها فلكم ما سألتم، وإلا فاصبروا على حكم الله.

﴿١٠﴾

{وَلَقَدْ جَآءَكُمْ مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ} [البقرة/٩٢]

- ❖ إن قلت إن عبادة العجل متقدمة على التوراة
- ■ أجيب بأن موسى كان يأمرهم بالتوحيد وهو موافق لما في التوراة.

﴿١١﴾

{وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَآ أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ

عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ [البقرة/١٠٢]

قوله: {فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا} معطوف على وما يعلمان من أحد

❖ إن قلت إن الأول منفي والثاني مثبت وكيف يصح عطف المثبت على المنفي

▪ أجيب بأنه في المعنى مثبت التقدير ويعلمون الناس السحر قائلين لهم إنما نحن فتنة فلا تكفر.

﴿١٢﴾

{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ– من الأوثان – لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ} [البقرة/١٢٥]

قوله: (من الأوثان)

❖ إن قلت إنه لم يكن حين بناء البيت أوثان

▪ قلت أجيب بأن المراد طهره فيما يستقبل من الزمان لعلم الله أن المشركين ستتخذ أوثاناً، وليس المراد أن الأوثان كانت موجودة حينئذ وأمر بطهارته منها.

﴿١٣﴾

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [البقرة/١٢٦]

قوله: {آمِناً}

❖ إن قلت إن الله قد امتن به من غير سؤال إبراهيم

- أجيب بأن المراد بالذي امتن الله به الأمن من إغارات الأعداء وبالذي طلبه إبراهيم الأمن من القحط والجوع.

﴿١٤﴾

{قُولُواْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ –أولاده – وَمَآ أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة/١٣٦]

- قوله: {وَإِسْمَاعِيلَ} الخ

❖ إن قلت إن إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط لم ينزل عليهم كتاب

- أجيب بأنه أوحى إليهم بصحف إبراهيم فلم يكن مغايراً لما نزل الله على إبراهيم

- قوله: (أولاده) أي أولاد يعقوب وهم أسباط بالنسبة لإسحاق وإبراهيم. وأولادهم أسباط للجميع، ويؤخذ من الآية أن الأسباط أنبياء وهو المعتمد كما ذكره ابن حجر في شرحه على الهمزية.

❖ إن قلت حيث كانوا أنبياء فهم معصومون من الصغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها فكيف ذلك مع ما يأتي في سورة يوسف من رميه في الجب وإيتانهم على قميصه بدم كذب وغير ذلك من الأمور المنافية للنبوة.

- فأجيب بأنهم غير مشرعين بل هم أنبياء فقط، فلا يلزمهم إجراء فعلهم على مقتضى الظاهر بل على سر القدر، فالمدار على خلوصهم في الباطن على حد ما قيل في أفعال الخضر مع موسى، وقد شهد الله له بأنه ما فعله عن أمره

فيكون ما جرى من الأسباط في حق يوسف كما جرى من الخضر أو أولى، وسيأتي بسط ذلك في سورة يوسف إن شاء الله تعالى.

﴿١٥﴾

{وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ – قطع لطمعه في إسلامهم وطمعهم في عوده اليها – وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذاً لَّمِنَ الظَّالِمِينَ} [البقرة/١٤٥]

- وقوله: (وطمعهم إلخ) راجع لقوله وما أنت بتابع قبلتهم، فهو لف ونشر مرتب.
- ❖ إن قلت كيف يطمعون في عوده لبيت المقدس مع أنه مذكور في كتبهم أنه لا يرجع عن الكعبة بعد أن تحول إليها
- ■ قلت إن ذلك الطمع واقع من جهلتهم الذين لا يعرفون في التوراة شيئاً.

﴿١٦﴾

{وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [البقرة/١٤٩]

- ❖ إن قلت إن مقتضى هذه الآية إن النعمة تمت الآن ومقتضى ما يأتي في سورة المائدة في قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي} [المائدة: ٣] أنها لم تتم إلا حين نزولها وهو يوم عرفة في حجة الوداع.
- ■ أجيب بأن النعمة مقولة بالتشكيك، فالمراد بها هنا استقبال الأشرف الذي هو الكعبة والمراد بها هنا الدين، قوله: {مِّنْكُمْ} هذه نعمة أخرى فوق أصل

الإرسال لأنه لو كان ملكاً لما استطاعوه لأن علة الإنضمام المجانسة، قوله: (القرآن) خصه من دون المعجزات لأنه باق إلى الآن.

﴿١٧﴾

{ فَاذْكُرُونِي – بالصلاة والتسبيح ونحوه– أَذْكُرْكُمْ } [البقرة/١٥٢]

- قيل معناه أجازيكم وفي الحديث عن الله [من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه]
- ❖ إن قلت إن الإنسان قد يذكر الله بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم كالصحابة فأي ملأ خير من النبي
- ▪ قلت أجيب بأن الشيء يشرف بما نسب إليه، فإن المجلس ينسب لكبيره وفرق بين حضرة الله وملائكته، وبين حضرة النبي وأصحابه، وأيضاً كون النبي في حضرة الله اشرف من نفسه في حضرة أصحابه، فمعنى قوله خير من ملئه ذكرته في حضرة النبي والملائكة المقربين في الملأ الأعلى، ولا شك أن تلك الحضرة لا يعدلها شيء أبداً، والملأ بالقصر الجماعة الأشراف.

﴿١٨﴾

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ} [البقرة/١٦٥]

- قوله: {أَشَدُّ حُبّاً لِّلَّهِ} أي فقد انفرد المؤمنون بمحبة الله، وأما محبة مثل الأنبياء والأولياء فمن المحبة لله
- ❖ إن قلت إن الكفار كذلك يحبون الأنداد ليقربوهم إلى الله زلفى فيقتضي أنها

أيضاً من المحبة لله.

- أجيب بأنهم كفروا بعبادتهم لهم لا بمجرد المحبة ففرق بين المحبة والعبادة، فلا يعبد إلا الله لا غيره، بخلاف المحبة من أجل كون ذلك المحبوب مقرباً مثلاً من الله كالأنبياء والأولياء ولذلك من عبدهم فقد كفر.

﴿١٩﴾

{ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ – فرض – عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة/١٧٨]

قوله: (فرض) {عَلَيْكُمُ}

❖ إن قلت إن مقتضى الفرض أنه متحتم لا يجوز العدول عنه وهو مخالف لما يأتي.

- أجيب بأن الفرض بالنسبة لولاة الأمور إذا شح الولي وأبى إلا القتل، فالمعنى يجب عليهم فعل القتل إن شح المولى ولم يعف. وسبب نزول الآية أن رسول الله لما دخل المدينة وجد الأوس والخزرج يتفاخران على بعضهم فصاروا يقتلون الأثنين بالواحد والحر بالعبد منهم، فنزلت هذه الآية فآمنوا وأسلموا.

﴿٢٠﴾

{كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ} [البقرة/١٨٠]

❖ إن قلت الوصية إما مصدر أو اسم مصدر والمصدر أو اسمه لا يتقدم معموله عليه.

- أجيب بأنه يتوسع في الظرف ما لا يتوسع في غيرها.

﴿٢١﴾

{ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُواْ مَا كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ} [البقرة/١٨٧]

قوله: {فَالآنَ}

❖ إن قلت إنه ظرف للزمان الحاضر. وقوله: {بَاشِرُوهُنَّ} مستقبل فحينئذ لا يحسن ذلك

- أشار المفسر لدفع ذلك حيث حول العبارة بقوله إذ حل لكم فمتعلق الظرف الحل لا المباشرة، فالمعنى حصل لكم التحليل الآن فحينئذ باشروهن فيما يستقبل.

﴿٢٢﴾

{وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُم وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ – اي من مكة وقد فعل بهم ذلك عام الفتح – وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَآءُ الْكَافِرِينَ} [البقرة/١٩١]

قوله: (عام الفتح) أي وهو العام الثامن.

❖ إن قلت: إن مدة الصلح باقية مع إن إخراجهم وقتالهم حصل قبل مضي تلك المدة.

- أجيب: بأنه حصل منهم نقض للعهد بعد عمرة القضاء.

﴿٢٣﴾

{وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ} [البقرة/١٩٧]

❖ إن قلت إن الله كما يعلم الخير من العبد يعلم الشر منه

- أجيب بأن شأن الله ستر الشر عن العبيد فلا يظهره عليهم، بخلاف الخير فيظهره للخلائق لما في الحديث: " إذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه حتى يأتي يوم القيامة وليس عليه شاهد بذنب " وأيضاً الآية مسوقة في أفعال الحج وكلها خير.

﴿٢٤﴾

{مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ} [آل عمران/١٠٥]

❖ إن قلت أن الزلل لا يكون إلا بعد مجيئها

- أجيب بأن المراد بمجيئها ظهورها ظهوراً بيناً.

﴿٢٥﴾

{سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم- كم استفهامية معلقة سل عن المفعول الثاني وهي ثاني مفعول آتينا ومميزها- مِّنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [البقرة/٢١١]

قوله: (معلقة سل عن المفعول الثاني) التعليق هو إبطال العمل لفظاً لا محلاً والإلغاء إبطاله لفظاً ومحلاً فتكون جملة كم آتيناهم في المعنى في محل المفعول الثاني لسل

❖ إن قلت إن التعليق مختص بأفعال القلوب وسل ليست منها

- أجيب بأنها سبب للعلم والعلم منها.

﴿٢٦﴾

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَآءُ وَالضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ- بالنصب والرفع- الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [آل عمران/١٤٢]

- قوله: (بالنصب والرفع) أي فهما قراءتان سبعيتان والنصب بأن مضمرة وحتى بمعنى إلى وهي تنصب المضارع إذا كان مستقبلاً ولا شك أن القول مستقبل بالنسبة للزلزال.

❖ إن قلت: إن القول والزلزال قد مضى.

▪ فالجواب: أنه على حكاية الحال الماضية، وأما الرفع فهو بناء على أن الفعل بعدها حال مقارن لما قبلها، والحال لا ينصب بعد حتى فتحصل أن لها بعد حتى ثلاثة أحوال: إما أن يكون مستقبلاً أو ماضياً أو حالاً، فالأول ينصب والأخيران يرفعان.

﴿٢٧﴾

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ} [البقرة/٢٤٣]

❖ إن قلت: كيف مات هؤلاء مرتين مع قوله تعالى:{لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى}[الدخان: ٥٦]

▪ قلت: إن الموت قبل استيفاء الأجل، إما عقوبة كموت الذين سألوا الرؤية قبلهم، أو عبرة كموت العزيز وحماره.

﴿٢٨﴾

{اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة/٢٥٥]

- قوله: {وَلاَ نَوْمٌ} عرف بأنه فترة طبيعية تهجم على الشخص قهراً عليه، تمنع حواسه الحركة وعقله الإدراك

❖ إن قلت حيث كان منزهاً عن السنة فهو منزه عن النوم بالأول

- أجيب بأنه زيادة في الإيضاح وأجيب أيضاً بأنه ذكر النوم لأنه ربما يتوهم من كونه يهجم قهراً أنه يغلبه فلا يلزم من نفي السنة نفي النوم وهذا هو الأثم، لأنه لا يلزم من نفي الأخف نفي الأثقل.

❖ إن قلت: إن الملائكة أيضاً لا تأخذهم سنة ولا نوم فليس في ذكر هذه الصفة مزيد مزية.

- أجيب: بأن تنزه الملائكة عن النوم من إخبار الله فقط، وإلا فالعقل يجوزه عليهم بخلاف تنزه الله عنه، فالدليل العقلي قائم على تنزهه عنه.

﴿٢٩﴾

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي – بالمعاينة المضمونة إلى الاستدلال– قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة/٢٦٠]

- قوله: (بالمعاينة المضمونة إلى الاستدلال)

❖ إن قلت: إن إيمان الأنبياء حق يقين لا علم يقين ولا عين يقين، فكيف يطلب إبراهيم الانتقال من علم اليقين إلى عين اليقين مع أن مرتبته فوق ذلك

▪ أجيب بأن هذا الكلام بالنسبة للذات والصفات لوجدها بحيث لو كشف عنا الحجاب لرأيناها، وأما إيجاد الله للأشياء فهو أمر اعتباري يطلع الله على ذلك من خصه برحمته فلا يشاهده إلا من رآه بعينه، وأجيب أيضاً بأنه من أهل حق اليقين في الجميع لأن الله يمثل لأحبائه الأمور الاعتبارية التي ستحصل. فتصير كالمشاهدة الحاضرة فلا فرق في حق اليقين بين شهود الذات والصفات والأفعال، وإنما طلب ذلك لأجل تمام الاستدلال والاحتجاج على قومه وهذا هو الأتم.

﴿٣٠﴾

{يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَاْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ –صادقين في إيمانكم فإن من شأن المؤمن امتثال أمر الله تعالى نزلت لما طالب بعض الصحابة بعد النهي بربا كان له من قبل – } [البقرة/٢٧٨]

قوله: (لما طالب بعض الصحابة) قيل هو عثمان بن عفان والعباس كانا أسلما رجلاً في قدر من التمر، فلما حل الأجل طالباه فقال لهما إن أعطيتكما الحق بتمامه لم يبق شيء للعيال، وإنما أعطيكما الآن نصفه والنصف الآخر أخواني به وأزيدكما مثله، فتراضيا معه على ذلك قبل التحريم ثم حل الأجل فطالباه بذلك فنزلت الآية.

❖ إن قلت: كيف يطالبانه بالربا مع علمهما بالنهي السابق قبل التحريم؟

▪ أجيب: بأنهما تأولاً ذلك حيث ظنا أنه لا حرمة إلا على من جدد عقداً بعد

التحريم.

﴿٣١﴾

{هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ } [آل عمران/٧]



❖ إن قلت هلا نزل كله محكماً لأنه نزل لارشاد العباد ومداره على المحكم لا على المتشابه؟

- أجيب بأنه نزل على أسلوب العرب، فإن أسلوبهم التعبير بالمجاز والكناية والتلميح وغير ذلك من المستحسنات، فلو نزل كله محكماً لقالت العرب إن القرآن على لغتنا فهلا ذكر فيه مستحسنات لغاتنا.

﴿٣٢﴾

{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} [آل عمران/١٤]

❖ إن قلت إنه يدخل في الناس الأنبياء مع أنهم معصومون من ذلك.

- أجيب بأنه عام مخصوص بما عدا الأنبياء، وأما هم فهم معصومون من الميل إلى ما سوى الله لما في الحديث " حبب إليّ من دنياكم ثلاث " ولم يقل من دنيانا، وفي الحديث أيضاً " ليست من الدنيا ولا الدنيا مني ".

﴿٣٣﴾

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} * {أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ – ما عملوا من خير كصدقة وصلة رحم– فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ– فلا اعتداد بها لعدم شرطها– وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ} [آل عمران/٢٢]

قوله: {بِغَيْرِ حَقٍّ}

❖ إن قلت إن قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير حق.

■ أجيب في اعتقادهم أيضاً فهو زيادة في التشنيع عليهم، فالمعنى اعجب يا محمد من بلادة هؤلاء حيث يقتلون الأنبياء وهو معتقدون أن قلتهم خلاف الحق ويقتلون من يأمرهم بالعدل.

قوله: (كصدقة وصلة الرحم)

❖ إن قلت إن مثل هذا العلم لا يتوقف على الإسلام لعدم توقفه على النية فينتفع به الكافر فلا يتم

■ قول المفسر فلا اعتداد بها لعدم شرطها، فلعل ذلك محمول على جماعة مخصوصين باشروا قتل الأنبياء وعاندوهم، وإلا فصدقة الكافر وصلة رحمه تنفعه في الدنيا بتوسعتها عليه مثلاً لا غير، ولا ينتفع بها في الآخرة إجماعاً لأن محل الجزاء الجنة وهو عنها بمعزل، لأنه ليس له في الآخرة إلا النار.

﴿٣٤﴾

{فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ} [آل عمران/٣٦] المطرود في الحديث [ما من مولود يولد إلا مسه الشيطان حين يولد

فيستهل صارخا إلا مريم وابنها] رواه الشيخان

قوله: (إلا مسه الشيطان) أي نخسه في جنبه وظاهره حتى الأنبياء وهو كذلك.

❖ إن قلت الأنبياء معصومون من الشيطان فلا سبيل له عليهم

▪ أجيب بأنهم معصومون من وسوسته وإغوائه لا من نخسه في أجسامهم، فإن ذلك لا يقدح في عصمتهم منه.

❖ إن قلت إن موضوع الآية أن دعوة أم مريم كانت بعد وضعها وتسميتها، فلم تنفع مريم من نخس الشيطان، وإنما نفعت ولدها فقط، فلم تحصل مطابقة بين الآية والحديث إلا أن يقال إن حفظهما من نخس الشيطان كان واقعاً، وإن لم تدع حنة فدعوتها طابقت ما أراده الله بهما

▪ ومع ذلك فالمناسب للمفسر أن لا يأتي بالحديث تفسيراً للآية، وقد ورد أن الشيطان نخسهما أيضاً إلا أنه صادف الغشاء.

﴿٣٥﴾

{قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ} [آل عمران/٤٠]

❖ إن قلت: ما الحكمة في قوله في قصة زكريا الله يفعل ما يشاء، وفي قصة مريم الله يخلق ما يشاء؟

▪ قلت: الحكمة أن خرف العادة في عيسى أعظم من يحيى، فإن عيسى لم يكن له أب كون أمه عذراء، وأما يحيى فأبواه موجودان وأن كان هناك مانع من الحمل، فعبر في جانب عيسى بالخلق الذي هو إنشاء واختراع دون الفعل.

﴿٣٦﴾

{وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ} [آل عمران/٤٨]

قوله: {وَالتَّوْرَاةَ}

❖ إن قلت إنها كتاب موسى.

- أجيب بأنه كان يحفظها ويتعبد بها إلا ما نسخ منها في الإنجيل.

﴿٣٧﴾

{وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} [آل عمران/٥٧] اي يعاقبهم روي أن الله تعالى أرسل إليه سحابة فرفعته فتعلقت به أمه وبكت فقال لها إن القيامة تجمعنا وكان ذلك ليلة القدر ببيت المقدس وله ثلاث وثلاثون سنة وعاشت أمه بعده ست سنين. وروى الشيخان حديث [أنه ينزل قرب الساعة ويحكم بشريعة نبينا ويقتل الدجال والخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية] وفي حديث مسلم أنه يمكث سبع سنين وفي حديث عن أبى داود الطيالسي أربعين سنة ويتوفى ويصلي عليه فيحتمل أن المراد مجموع لبثه في الأرض قبل الرفع وبعده

قوله: (وكان ذلك ليلة القدر)

❖ إن قلت إن ليلة القدر من خصائص هذه الأمة

- أجيب بأن الذي من خصائص هذه الأمة فضلها من كونها خيراً من ألف شهر، وكونها تنزل فيها الملائكة من الغروب إلى طلوع الفجر، وكون الدعاء فيها مجاباً بعين المطلوب، فلا ينافي ثبوتها في الأمم السابقة، لكن بهذا الفضل.

قوله: (ويحكم بشريعة نبينا)

❖ إن قلت إن وضع الجزية ليس من شرع نبينا.

- أجيب بأنه غير أن أخذها مغيى بنزول عيسى كما أخبرك بذلك نبينا فوضعها أيضاً من شرعنا (قوله سبع سنين) أي فوق الثلاث والثلاثين وهو ضعيف.

﴿٣٨﴾

{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى– شانه الغريب– عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ – كشأنه في خلقه من غير أب وهو من تشبيه الغريب بالأغرب ليكون اقطع للخصم واوقع في النفس– خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} [آل عمران/٥٩]

قوله: (الغريب) أي وهو عيسى، قوله: (بالإغرب) أي وهو آدم، وأغربيته من وجوه منها أنه لم يسبق له أمثال أصلاً، ومنها وجود الأم لعيسى دون آدم

❖ إن قلت: وجه الشبه بينهما ليس بتام.

- أجيب بأنه يكفي وجه واحد وهو عدم الابوة لكل.

﴿٣٩﴾

{إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [آل عمران/٧٧]

قوله: (ولا يكلمهم الله)

❖ إن قلت إن قوله تعالى في سورة المؤمنون:{قَالَ اخْسَئُواْ فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ}[المؤمنون: ١٠٨] الآية، يقتضي أن الله يقع منه كلام لهم، فكيف الجمع بين الاثنين؟

- أجيب بأن قوله تعالى: {وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ} أي كلام رضا فلا ينافي أنه يكلمهم كلام غضب أو لا يكلمهم أصلاً وآيات الكلام على لسان الملائكة، ويشهد

لذلك قوله تعالى: {وَنَادَوْاْ يامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ} [الزخرف: ٧٧].

﴿٤٠﴾

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَآ آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِينَ} * {فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [آل عمران/٨١، ٨٢]

قوله: {فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذلِكَ}

- إن قلت إن الأنبياء معصومون من ذلك
- أجيب بأن الشرطية لا تقتضي الوقوع أو خطاب لهم، والمراد أممهم.

﴿٤١﴾

{وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} *{وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ– وهم اليهود والنصارى – وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [آل عمران/١٠٤، ١٠٥]

- إن قلت إن دعاءهم مستجاب فهلا دعوا بإصلاح العالم مثلاً؟
- أجيب بأنهم لا يلهمون الدعاء بغير ما في علم الله، فإذا علم الله أن العالم لا يصلح مثلاً فلا يلهمون ولا يوفقون للدعاء باصلاحه بل هم أشد الناس صبراً وتحملاً للمكاره ورضا بالقضاء والقدر وفي ذلك قلت:

أرح قلبك العاني وسلم له القضا...تفز بالرضا فالأصل لا يتحول

علامة أهل الله فينا ثلاثة...أما وتسليم وصبر مجمل

والتفرق المذموم إنما هو في العقائد لا في الفروع فإنه رحمة لعباد الله.

﴿٤٢﴾

{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} [آل عمران/١١٠]

❖ إن قلت إن الإيمان هو الأصل فلم يقدم؟

- أجيب بأنه غير مخصوص به، وإنما الفضل الثابت لهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذه الأمة لها شبه بالأنبياء من حيث إنها مهتدية في نفسها هادية لغيرها.

﴿٤٣﴾

{ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذلِكَ بِمَا عَصَوْاْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} [آل عمران/١١٢]

قوله: {وَيَقْتُلُونَ الأَنْبِيَآءَ} أي فقتلوا أول النهار سبعين نبياً وآخره أربعمائة عابد.

❖ إن قلت: إن القاتل للأنبياء أجدادهم فلم أوخذوا بفعل أصولهم

- أجيب بأن رضا الفروع بقتل أصولهم الأنبياء صيره كأنه واقع منهم، فالقتل وقع من أصولهم بالفعل ومنهم بالعزم والتصميم فهم الآن لو تمكنوا من النبي والمسلمين ما أبقوا واحداً.

﴿٤٤﴾

{يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ} [آل عمران/١١٤]

قوله: {وَيُسَارِعُونَ} أي يبادرون بامتثال أمر الله

❖ إن قلت إن العجلة مذمومة، ففي الحديث " العجلة من الشيطان " إلا في أمور

▪ أجيب بأن معنى المسارعة أنه إذا تعارض حق لله وحفظ لنفسه بادر الحق الله وترك حظه، وأما العجلة فهي المبادرة للشيء مطلقاً كأن يبادر للصلاة قبل وقتها، أو في الصلاة بأن لا يتقن ركوعها ولا سجودها، فإن ذلك مذموم إلا في أمور، فهي مسارعة لا عجل كالتوبة وتقديم الطعام للضيف وتجهيز الميت وزواج البكر والصلاة في أول وقتها.

﴿٤٥﴾

{إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُنزَلِينَ} [آل عمران/١٢٤]

قوله: {بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ}

❖ إن قلت: ما الحاجة إلى ذلك العدد الكثير فإن جبريل وحده أو أي ملك كاف في قتال الكفار؟

▪ أجيب: بأن ذلك ينسب النصر لرسول الله والمؤمنين لقوله تعالى:{قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ}[التوبة: ١٤] فلو هلكوا بشيء مما هلك به الأمم السابقة لم يكن في ذلك مزيد فخر للمؤمنين ولا شفاء لغيظهم، لكونه خارجاً عن اختيارهم.

﴿٤٦﴾

{وَسَارِعُواْ – بواو ودونها – إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران/١٣٣]

- قوله: (بواو ودونها) أي فهما قراءتان سبعيتان، فعلى الواو تكون الجملة معطوفة على جملة واتقوا النار، وعلى عدمها تكون الجملة استئنافية، كأن قائلاً قال وما كيفية تقوى النار وبأي شيء يكون تقواها، فأجاب بقوله سارعوا إلخ

- إن قلت: إن ما خالف الرسم العثماني شاذ فمقتضاه أن أحد القراءتين مخالف الرسم.

- أجيب: بأن المصاحف العثمانية تعددت، فبعضها بالواو وبعضها بدونها، ولا يرد هذا الإشكال إلا لو كان واحداً.

﴿٤٧﴾

{الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّآءِ وَالضَّرَّآءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ– الكافين على إمضائه مع القدرة– وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران/١٣٤]

- قوله: (الكافين على إمضائه مع القدرة) أي الكاتمين الغضب مع القدرة على العمل بمقتضاه بظواهرهم وبواطنهم، وكظم الغيظ من أعظم العبادة، ورد من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأه الله أمناً وإيماناً

- إن قلت: ورد عن الشافعي أنه قال من استغضب ولم يغضب فهو حمار فمقتضاه أنه مذموم ومقتضى الآية أنه من المتقين

- أجيب: بأن كلام الشافعي يحمل على إذا ما رأى حرمات الله تفعل ولم ينه عنها ولم يغضب لأجلها، وقد اتفق للإمام الحسن زمن خلافته وكان حليماً

جداً أن رجلاً قدم عليه ليمتحنه فصار يسبه ويتكلم فيه وهو يبتسم، فقال له الرجل إن شتمتني واحدة شتمتك مائة، قال له الحسن إن شتمتني مائة ما شتمتك واحدة فوقع على قدمه وقبلها وقال أشهد أنك على خلق رسول الله.

﴿٤٨﴾

{فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا – النصر والغنيمة – وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [آل عمران/١٤٨]

قوله: (والغنيمة)

❖ إن قلت إنها لم تحل إلا لهذه الأمة المحمدية

▪ أجيب بأن المراد بالغنيمة ملك أموال الكفار ورقابهم، ولا يلزم من الملك حل أكلها.

﴿٤٩﴾

{إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ لَن يَضُرُّواْ اللَّهَ شَيْئاً وَلهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [آل عمران/١٧٧]

قوله: {إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ اللَّهَ شَيْئاً} علة للنفي وهو على حذف مضاف تقديره لن يضروا ألوياء الله شيئاً، وإنما أسند الضرر لنفسه تشريفاً لهم، كأن محاربة المسلمين محاربة له.

❖ إن قلت: إن قتلهم للمؤمنين مشاهد وهو ضرر فكيف ينفى؟

▪ أجيب: بأنه ليس بضرر بل هو شهادة فالمؤمنون فائزون على كل حال قتلوا أو قتلوا، والكافرون خاسرون على كل حال قتلوا أو قُتلوا.

﴿٥٠﴾

{لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ} [آل عمران/١٨١]

قوله: {بِغَيْرِ حَقٍّ} أي حتى في اعتقادهم

❖ إن قلت: إن ذلك كان في أجدادهم فلم أوخذوا به؟

- أجيب: بأن رضاهم به صيره كأنه واقع منهم، لأن الرضا بالكفر كفر.

﴿٥١﴾

{رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ} [آل عمران/١٩٤]

❖ إن قلت: لا يخلو الأمر إما أن تكون العاقبة في نفس الأمر محمودة فوعد الله له محق ولا بد، وإما أن تكون غير محمودة فليس له عند الله وعد أصلاً فلا فائدة في الدعاء.

- أجيب: بأن توفيقه للدعاء دليل على أن الله لا يخلف وعده الذي وعده إياه، قال بعضهم: ما وفقك للدعاء إلا ليعطيك، فحيث وفق العبد للدعاء كان دليلاً على قبوله وإنابته وحسن عاقبته، ولذا لم يوفق إبليس للتوبة ولا للدعاء.

﴿٥٢﴾

{ياأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا – حواء بالمد من ضلع من أضلاعه اليسرى – وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَآءً وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً} [النساء/١]

قوله: (من ضلع من أضلاعه) أي بعد أن أخذه النوم ولا يشعر بذلك ولم

يتألم، فلما استيقظ من النوم وجدها فمال إليها فأراد أن يمد يده إليها، فقالت له الملائكة معه يا آدم حتى تؤدي مهرها، قال فما مهرها؟ قالوا حتى تصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، وفي رواية ثلاثة صلوات، وفي رواية سبعة عشر، وفي ذلك إشارة إلى أنه عليه الصلاة والسلام الواسطة لكل موجود حتى أبيه آدم.

- ❖ إن قلت: حيث كانت حواء مخلوقة من ضلع آدم فهي أخت لأولاده، فمقتضاه أنه يحل لكم يخلق منها التزوج بها في شرعه.
  - ▪ أجيب: بأن تفرع حواء من آدم فهي أخت لأولاده، فمقتضاه أنه يحل لمن يخلق منها التزوج بها في شرعه. أجيب: بأن تفرع حواء من آدم ليس كتفرع الولد من الوالد، بل نباتها من الضلع كما تنبت النخلة من النواة، فلا يحكم عليها بأنها بنت آدم ويقال لها أخت أولاده، بل هي أمهم لا غير، واختلف هل كان خلق حزاء خارج الجنة، وبه قال جماعة، وقال ابن عباس وجماعة أنه كان دتخل الجنة، ولا مانع من كونه أخذه النوم فيها، لأن الممنوع النوم بعد دخولها يوم القيامة.

﴿٥٣﴾

{وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ – مضمومة – إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً} [النساء/٢]

قوله: (مضمومة) أي الأمر الأول تضمن نهياً أي لا تمنعوا اليتامى من أموالهم إذا رشدوا أو لا تتبدلوا الخبيث بالطيب، ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم.

- ❖ إن قلت: مقتضى الآية أن أكل مال اليتيم منفرداً ليس بذنب عظيم
- ▪ أجيب: بأنه نص على مستقبح الأوصاف زيادة في التشنيع على من يأكله مع

الاستغناء، وإلا فأكله منفرداً كأكله مضموماً لماله في ارتكاب الإثم الكبير.

﴿٥٤﴾

{وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ – الضياع – فَلْيَتَّقُواْ اللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً} [النساء/٩]

- قوله: {خَافُواْ عَلَيْهِمْ} (الضياع)

❖ إن قلت: ما ذنب اليتيم حتى يعاقب بالضياع؟

▪ أجيب بأن ذلك تعذيب لأبيه، لأن ما يؤذي الحي يؤذي الميت، وليس تعذيباً لهم، بل قد يكون رفعة لهم إن اتقوا الله.

﴿٥٥﴾

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَآءَ كَرْهاً وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ – بينت أو هي بينة اي زنا أو نشوز فلكم أن تضاروهن حتى يفتدين منكم ويختلعن– وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً} [النساء/١٩]

- قوله: فلكم أن تضاروهن

❖ إن قلت: إن المضاررة لا تجوز فكيف ذلك؟

▪ أجيب بأن هذا منسوخ، أو بأن المراد بها الوعظ والهجر والضرب على طبق ما يأتي في قوله تعالى: {وَالَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ} [النساء: ٣٤] الآيات، وتسميته حينئذ مضاررة مشاكلة نظير (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه).

﴿٥٦﴾

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ} [النساء/٤٣]

قوله: {لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ} إنما نهى عن القربان للمبالغة في النهي

❖ إن قلت: إن السكران لا عقل عنده فكيف ينهى؟

- أجيب: بأن المراد لا تسكروا في أوقات الصلوات.

﴿٥٧﴾

{أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً– تناقضا في معانيه وتباينا في نظمه –} [النساء/٨٢]

وقوله: (وتبايناً في نظمه) أي بأن يكون بعضه فصيحاً بليغاً، وبعضه ليس كذلك، فلما كان جميعه على منوال واحد، ليس بعضه مناقضاً لبعض، بل إخباره كلها متوافقة، وهو فصيح بليغ ليس فيه ما ينافي ذلك ثبت أنه عند الله لأن هذا الأمر لا يقدر عليه غيره، ولو ثبت فرضاً أنه من عند غير الله، لوجدوا فيه اختلافاً في المعنى أو اللفظ.

❖ إن قلت إن قوله كثيراً ربما يوهم أن فيه اختلافاً قليلاً

- أجيب: أن بالتقييد بالكثرة للمبالغة، والمعنى أن القرآن ليس فيه اختلاف أصلاً، فلو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً فضلاً عن القليل فهو من عند الله، فلم يكن فيه اختلاف أصلاً لا كثير ولا قليل.

﴿٥٨﴾

{ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً – مصدر منصوب بفعله المقدر – مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً} [النساء/٩٢]

- قوله: (المقدر) أي وتقديره تاب الله عليكم توبة، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله، أي شرع لكم ذلك لأجل التوبة عليكم وهو الأحسن

❖ إن قلت: إن الخطأ ليس بذنب فما معنى التوبة منه؟

▪ أجيب: بأن ذلك لجبر الخلل الذي حصل منه في عدم إمعان النظر والتحفظ.

﴿٥٩﴾

{وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً} [النساء/١٠٧]

- قوله: {مَن كَانَ خَوَّاناً} صيغة مبالغة بمعنى كثير الخيانة، لأنه وقعت منهم خيانات كثيرة، أولاً السرقة، ثم اتهام اليهودي، قم الحلف كاذباً، ثم الشهادة زوراً.

❖ إن قلت: إن مقتضى الآية إن الله يحب من كان عنده أصل الخيانة مع أنه ليس كذلك.

▪ أجيب: بأن ذلك بالنظر لمن نزلت فيهم وهو طعمة وقومه، فالواقع أن عندهم خيانات كثيرة.

﴿٦٠﴾

{وَمَن يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ – لأن وباله عليها ولا يضر غيره – وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً} [النساء/١١١]

قوله: (ولا يضره غيره).

❖ إن قلت: إن معصية طعمة أصابت قومه فضرتهم.

▪ أجيب: بأن ضررهم إنما جاء من كسبهم، لمعاونتهم له، وشهادتهم الزور معه، وعزمهم على الحلف كذباً.

﴿٦١﴾

{لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً} [النساء/١١٤]

قوله: {وَمَن يَفْعَلْ ذلِكَ} اسم الإشارة عائد على الثلاثة، وإنما أفرد لأن العطف بأو

❖ إن قلت مقتضى السياق ومن يأمر بذلك

▪ أجيب بأن هذا راجع للمأمور به، فاسم الإشارة عائد على المأمور به وتقديره ومن يفعل المأمور به من صدقة أو معروف أو إصلاح، فاستفيد من الآية أولاً وآخراً ثواب الأمر والفاعل، وفي الحديث: " الدال على الخير كفاعله " وأجيب أيضاً بأنه عبر عن الأمر بالفعل لأنه فعل لساني والأقرب الأول.

﴿٦٢﴾

{إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً} [النساء/١١٦]

قوله: {فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً} أي فالشرك أعظم أنواع الضلال

❖ إن قلت: إن ما تقدم في شأن أهل الكتاب وهم عندهم علم بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحق، وإنما كفرهم عناد، فسماه الله افتراء أي

كذباً، وما هنا في شأن مشركي العرب وهم ليس لهم علم بذلك إن هم كالأنعام بل هم أضل، فلذا سماه الله ضلالاً بعيداً.

■

﴿٦٣﴾

{وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ } [النساء/١٥٧]

❖ إن قلت: أنهم لم يعترفوا برسالته! بل كفروا به وقالوا هو ساحر ابن ساحرة.

■ وأجيب: بأنهم قالوا ذلك تهكّماً به، نظير قول فرعون لموسى أن رسولكم الذي أرسل إليكن لمجنون، وقول مشركي العرب في حق محمد: يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون. وأجيب أيضاً: بأنه من كلامه تعالى مدحاً له وتنزيهاً له عن مقالتهم، فيكون منصوباً بفعل محذوف، أي أمدح رسول الله.

﴿٦٤﴾

{وَأَنْ تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ} [المائدة/٣]

قوله: {ذلِكُمْ فِسْقٌ} أي الاستقسام المذكور خروج عن طاعة الله.

❖ إن قلت: إن هذه بعينها هي القرعة الجائزة في الإسلام.

■ أجيب بأن تحريم هذا إنما جاء من إحالتها للصنم وتفويض الأمر له، ولذا وقعت القرعة بحضرة ولي ميت مثلاً، وفوض الأمر له، لكان الحكم الحرمة، كالاستقسام بالأزلام، واسم الإشارة مبتدأ، وفسق خبر، وهو راجع إلى الاستقسام بالأزلام، كما هو مروي عن ابن عباس، وقيل راجع إلى جميع ما تقدم، وكل صحيح.

﴿٦٥﴾

{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}[المائدة/٣]



- ❖ إن قلت إن قوله: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} يقتضي نقصانه قبل ذلك.

- ▪ وأجيب: بأن القرآن نزل جملة في بيت العزة في سماء الدنيا، وصار ينزل بعد ذلك متفرقاً، فحين نزول هذه كأن الله تعالى يقول لا تنتظروا بعد ذلك حكماً، فإني قد أتممت لكم ما قدرته لكم وادخرته عندي، ولذلك " حين نزلت بكى عمر، فقال له رسول الله: " ما يبكيك "؟ فقال: إذا تم شيء بدا نقصه. فقال له: صدقت، فكانت هذه الآية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم " روي عن عمر بن الخطاب أن رجلاً يهودياً قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً، فقال له: أي آية؟ قال: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} الآية، فقال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي أنزلت فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة بعد العصر ﻫ. وقد تضمن جواب عمر أنهم جعلوا صبيحتها عيداً.

{وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَآءَ

﴿٦٦﴾

{وَجَعَلَكُمْ مُّلُوكاً وَآتَاكُمْ مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِّن الْعَالَمِينَمن – المن والسلوى وفلق البحر وغير ذلك –} [المائدة/٢٠]

قوله: (من المن والسلوى) بيان لما.

❖ إن قلت: إن هذه المقالة وقعت حين أخذ الميثاق عليهم في قتال الجبارين، فلا يظهر قول المفسر من المن والسلوى، لأنه لم ينزل عليهم إلا في التيه، وذلك بعد توجههم من مصر لقتال الجبارين، فحينئذٍ كان المناسب للمفسر أن يقول من النبوة والملك وفلق البحر

- وقد يجاب: بأنه لا مانع من ذكر هذه الكلمة في التيه أيضاً.

﴿٦٧﴾

{يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ – المطهرة – الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ} [المائدة/٢١]

قوله: (المطهرة) إنما سميت مطهرة لسكنى الأنبياء المطهرين فيها، فشرفت وطهرت بهم، فالظرف طاب بالمظروف

❖ إن قلت: إن الجبارين كانوا فيها وهم غير مطهرين

- أجيب: بأن الخير يغلب الشر، والنور يغلب الظلمة.

﴿٦٨﴾

{قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي – ولا أملك غيرهما فأجبرهم على الطاعة – فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [المائدة/٢٥]

قوله: (لا أملك غيرهما)

❖ إن قلت: إن يوشع وكالب كانا في طاعته أيضاً.

- أجيب بأنه لم يثق بهما.

﴿٦٩﴾

{إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَآءُ الظَّالِمِينَ} [المائدة/٢٩]

قوله: {إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي} هذا تخويف من هابيل لقابيل لعله ينزجر.

❖ إن قلت: إنه لا تحل إرادة المعصية من الغير.

- أجيب بأجوبة منها: أن الهمزة محذوفة والاستفهام للإنكار. والأصل إني أريد، والمعنى لا أريد، ويؤيده هذا قراءة أني بفتح النون بمعنى كيف. ومنها: أن لا محذوفة أي أن لا تبوء على حد: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولاَ} [فاطر: ٤١].

﴿٧٠﴾

ونزل في العرنيين لما قدموا المدينة وهم مرضى فأذن النبي صلى الله عليه و سلم أن يخرجوا إلى الإبل ويشربوا من أبوالها وألبانها فلما صحوا قتلوا راعي النبي صلى الله عليه و سلم واستاقوا الإبل {إِنَّمَا جَزَآءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [المائدة/٣٣]

قوله: (في العرنيين) جمع عرني نسبة لعرينة قبيلة من العرب، كجهني نسبة لجهينة، وكانوا ثمانية رجال قدموا المدينة وأظهروا الإسلام وكانوا مرضى، فاشتكوا له صلى الله عليه وسلم من مرضهم، فأمرهم أن يخرجوا إلى إبل الصدقة، وكانت خمسة عشر ترعى في الجبل مع عتيق للمصطفى يقال له يسار النوبي، فلما صحوا قتلوا الراعي واستاقوا الإبل وارتدوا عن الإسلام، فقد وقع منهم المحاربة والقتل والسرقة والارتداد، فبلغ رسول الله خبرهم،

فأرسل خلفهم نحو عشرين فارساً، فأتوا بهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وسمر أعينهم أي كحلهم بالنار، وتركهم بالحرة يعضون الحجارة ويستقون فلم يسقهم أحد.

❖ إن قلت: تسمير الأعين وموتهم بالجوع والعطش مثلة ورسول الله نهى عنها.

- أجيب بأجوبة منها: أنهوا فعلوا بالراعي كذلك، ومنها أن ذلك خصوصية له صلى الله عليه وسلم فيهم، ومنها أن ذلك كان جائزاً ثم نسخ.

﴿٧١﴾

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ – مبالغة في الوصف بالجود وثنى اليد لإفادة الكثرة إذ غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطي بيديه – يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَآءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ – فكل فرقة منهم تخالف الأخرى – كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَاراً لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} [المائدة/٦٤]

- قوله: (وثني اليد الخ) أي فذكر اليدين مشاكلة، والتثنية كناية عن كثرة العطاء، لكن على مراده هو، لا على مراد عبيده، لأنه ليس لأحد حق عليه يطلبه منه، ثم في إطلاق اليد على الله طريقتان: طريقة السلف أن اليد صفة من صفاته أزلية، كالسمع والبصر، ينشأ عنها الخير لا الشر، فهي أخص من القدرة، لأن القدرة ينشأ عنها جميع الممكنات، إيجاداً وإعداماً، خيراً أو شراً، ولا يعلمها إلا هو، ويشهد لما قلنا. قوله {قَالَ ياإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ} [ص: ٧٥] أي اصطفيته، ولم يقل بقدرتي، وطريقة الخلف أن اليد

تطلق بمعنى الجارحة، وهي مستحيلة على الله، وتطلق على القدرة والنعمة والملك، ويصح إرادة كل منهما في حق الله.

❖ إن قلت: على تفسيرها بالقدرة أو النعمة، فلم ثنيت ثانياً بعد إفرادها أولاً؟

▪ أجيب: بأن التثنية لإفادة كثرة الكرم والعطاء كما قال المفسر

❖ إن قلت: على تفسيرها بالنعمة فمقتضاه جمعها لأن النعم كثيرة، قال تعالى: {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَآ} [النحل: ١٨، إبراهيم: ٣٤]

▪ أجيب: بأن التثنية بحسب الجنس، لأن النعم جنسان مثل: نعمة الدنيا ونعمة الدنيا، ونعمة الظاهر ونعمة الباطن، ونعمة الإعطاء ونعمة المنع، وتحت كل واحد من الجنسين أنواع كثيرة، وما قلناه عقائد المؤمنين، وعقيدة اليهود أنها الجارحة لأنهم مجسمة. قوله: (فكل فرقة منهم) أي اليهود كالجبرية والقدرية والمشبهة والمرجئة، والنصارى كذلك فرق كالملكانية والنسطورية واليعقوبية والماردانية.

❖ إن قلت: إن المسلمين فرق أيضاً؟

▪ أجيب: بأن افتراق المسلمين في الفروع لا الأصول، وكلهم على خير مسلمين لبعضهم، وأما من خرج عن ذلك فهو ضال مضل.

﴿٧٢﴾

{وَحَسِبُواْ أَلاَّ تَكُونَ – بالرفع فأن مخففة والنصب فهي ناصبة اي تقع – فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} [المائدة/٧١]

قوله: (بالرفع فأن مخففة) أي واسمها محذوف تقديره أنه، وقوله: {أَلاَّ تَكُونَ}

خبرها، قال ابن مالك: وَإِنْ تُخفّف أَنْ فَاسْمَهَا اسْتَكَن...وَالخَبَر اجْعَلِ جُمْلَةً مِنْ بَعْدَ أَنْ

قوله: (والنصب) أي فهما قراءتان سبعيتان. واعلم أن أن إن وقعت بعد ما يفيد اليقين، كانت مخففة من الثقيلة لا غير، نحو علم أنه سيكون، وإن وقعت بعد ما يفيد الظن، كانت ناصبة لا غير، نحو {وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ} [التوبة: ١١٨]، وإن وقعت بعد ما يحتملهما كان فيه الأمران كهذه الآية، فالرفع على تأويل حسب بمعنى علم، والنصب على تأويلها بالظن.

❖ إن قلت: مقتضى هذه القاعدة أن كل ما يفيد الأمرين يجوز فيه الرفع والنصب، مع أنه لم يسمع في أحسب الناس أن يتركوا الرفع ولا النصب في أفلا يرون أن لا يرجع.

▪ أجيب بأن القراءة سنَّة متّبعة، لأنه ليس كلما جاز نحواً جاء قراءة، وجملة {أَلاَّ تَكُونَ فِتْنَةٌ} في محل نصب سدت مسد مفعولي حسب على كلا القراءتين عند جمهور البصريين، وقيل مسد مفعولها الثاني محذوف تقديره حاصلة.

﴿٧٣﴾

{قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ السَّبِيلِ – عن طريق الحق والسواء في الأصل الوسط – } [المائدة/٧٧]

- قوله: (عن طريق الحق) أي وهو دين الإسلام.

❖ إن قلت: إنه قد تقدم ضلالهم في قوله: {قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ}

- أجيب: بأنه يحمل الضلال الأول على الكفر بموسى وعيسى، والضلال الثاني على الكفر بمحمد.

﴿٧٤﴾

{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ} [المائدة/٨٢]

قوله: {لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى} أي أنصار دين الله.

❖ إن قلت: مقتضى الآية مدح النصارى وذم اليهود، مع أن كفر النصارى أشد لأنهم ينازعون في الربوبية واليهود أخف منهم لأنهم ينازعون في النبوة،

- أجيب بأن مدح النصارى من جهة قرب مودتهم للمسلمين، وذم اليهود من حيث إنهم أشد عداوة للمسلمين، وذلك لا يقتضي شدة الكفر ولا عدمها، وأيضاً الحرص في اليهود دون النصارى، أنه حرام.

﴿٧٥﴾

{لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ – اي اليمين إذا حنثتم فيه – إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ } [المائدة/٨٩]

قوله: (أي اليمين)

❖ إن قلت: إن اليمين مؤنثة فلم عاد الضمير عليها مذكراً؟

- أجيب: بأنها تذكر بمعنى الحلف.

﴿٧٦﴾

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَآءٌ – وفي قراءة بإضافة جزاء – مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ } [المائدة/٩٥]

قوله: (بإضافة جزاء)

❖ إن قلت على هذه القراءة يقتضي أن الجزاء لمثل المقتول لا المقتول نفسه مع أنه ليس كذلك.

- أجيب بأجوبة منها: أن الإضافة بيانية، ومنها أن مثل زائدة، ومنها أن جزاء مصدر مضاف لمفعوله، أي أن يجازى القاتل مثل المقتول حال كون المصل من النعم.

﴿٧٧﴾

{جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلاَئِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المائدة/٩٧]

قوله: {جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِّلنَّاسِ} يحتمل أن جعل بمعنى صير، فيكون قوله الكعبة مفعول أول، وقياماً مفعول ثاني، ويحتمل أنها بمعنى خلق فيكون قياماً حالاً، والبيت الحرام عطف بيان على الكعبة.

❖ إن قلت .. إن عطف البيان إنما يكون مبيناً موضحاً، وهنا ليس كذلك، إذ من المعلوم أن الكعبة هي البيت الحرام.

- أجيب بأنه للاحتراز عن بيت خثعم الذي سموه الكعبة اليمانية، فهو هنا للتوضيح لدفع الإلباس بغيره.

وأجيب أيضاً بأنه جيء به لمجرد المدح، إذ الكعبة عند العرب لا تنصرف إلاّ للبيت الحرام على حد {الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[الفاتحة: ١] إذ من المعلوم أن الله هو رب العالمين.

❖ إن قلت: إن البيت جامد والمدح لا يكون إلا بمشتق.

- أجيب بأنه وصف بمشتق وهو الحرام، والكعبة لغة بيت مربع، فسميت الكعبة بذلك.

﴿٧٨﴾

{مَا جَعَلَ – شرع – اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ وَلاَ حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ} [المائدة/١٠٣]

قوله: (شرع)

❖ إن قلت إنه لم يرد في اللغة بمعنى شرع، فالمناسب أن يفسرها بصير، ويكون المفعول الذاتي محذوفاً، والتقدير مشروعاً.

-

﴿٧٩﴾

{ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [المائدة/١٠٥]

قوله: {ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ} قيل إنه مرتبط بما قبله فيكون قوله لا يضركم من ضل يعني من أهل الكتاب، والمعنى أن الله كلفنا بقتال الكفار حتى يسلموا أو يؤيدوا الجزية، فإذا أدوها كففنا أنفسنا عنهم ولا يضرنا كفرهم، وقيل مستأنفة نزلت في العصاة، فالمعنى عليك بحفظ نفسك ولا

تتعرض لغيرك، فلا يضرك ضلال من ضل.

❖ إن قلت: إن هذا يوهم أن المدار على هدى الإنسان في نفسه، ولا يلزمه الأمر بالمعروف ولا النهي عن المنكر، وهو خلاف النصوص الشرعية من الآيات والأحاديث النبوية.

▪ وأجيب: يحمل ذلك على من عجز عن ذلك، وإلى هذين القولين أشار المفسر فيما يأتي بقوله قيل المراد الخ، وفي الحقيقة المراد ما هو أعم، فإذا امتثل العبد ما أمره الله به وترك ما نهاه عنه فلا يضره مخالفة من خالف.

﴿٩٠﴾

{يآَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ } [المائدة/١٠٦]

قوله: {شَهَادَةُ} مبتدأ، وبينكم مضاف إليه، إذا ظرف بشهادة، وحضر فعل ماض، واحكم مفعول مقدم، والموت فاعل مؤخر، وحين بدل من الظرف قبله، وقوله اثنان خبره.

❖ إن قلت: إن الذات لا يخبر بها عن المعنى ولا عكسه.

▪ أجيب: بأن الكلام على حذف مضاف، أما في الأول تقديره ذوا شهادة أحدكم اثنان أو في الثاني تقديره شهادة اثنين، وقوله ذوا عدل صفة لاثنان، والعدل هو الذكر البالغ غير مرتكب كبيرة ولا صغيرة خسة وغير مصر على صغيرة غيرها.

﴿٩١﴾

{وَإِذْ قَالَ اللَّهُ ياعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ} [المائدة/١١٦]

قوله: {إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ}

❖ إن قلت: إن مدخول إن لا بد من كونه مستقبلاً، والقول والعلم متعلقهما ماض.

- أجيب: بأن الكلام على التقدير والمعنى أن يثبت أني قلته فقد تبين وظهر أن علمك متعلق به، لأنه يستحيل وقوع شيء لم يتعلق علم الله به، فحيث لم يتعلق علمه بما قال فلم يحصل ذلك منه، لأنه لا يقع شيء في ملكه إلا وهو عالم به.

﴿٩١﴾

{وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ} [الأنعام/٣]

قوله: {وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ}

❖ إن قلت إن الكسب لا يخرج عن السر والجهر والعطف يقتضي المغايرة

- أجيب: بأن المراد بالكسب ما يترتب عليه من الثواب والعقاب، والمعنى يعلم أفعالكم وأقوالكم السرية والجهرية، ويعلم جزاءها من ثواب وعقاب.

﴿٩٢﴾

{قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل للَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ} [الأنعام/١٢]

❖ إن قلت: إن ظاهر الآية أن عدم الإيمان مسبب عن الخسران، مع أن الخسران مسبب عن عدم الإيمان.

- أجيب: بأن المعنى الذين خسروا أنفسهم في علم الله أي قضى ليهم بالخسران أزلاً، فهم لا يؤمنون فيما لا يزال، فالآية باعتبار ما في علم الله، وأما تسبب الخسران عن عدم الإيمان فبحسب ما يظهر للعباد.

﴿٩٣﴾

{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكَينَ} [الأنعام/١٤]

قوله: {فَاطِرِ} بدل من لفظ الجلالة أو نعت.

❖ إن قلت إن فاطر اسم فاعل وإضافته لفظية لا تفيده التعريف، ولفظ الجلالة أعرف المعارف، وشرط النعت موافقته لمنعوته في التعريف.

- أجيب بأن محل كون إضافته لفظية إن كان معناه التجدد والحدوث، وأما هنا فهو من قبيل الصفة المشبهة، فيكون وصفاً ثابتاً له، وهذه الجملة كالدليل لما قبلها.

﴿٩٤﴾

{وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} [الأنعام/٢٢]

❖ إن قلت: مقتضى هذه الآية أن الشركاء ليسوا أنهم حاضرون معهم، ومقتضى قوله تعالى {احْشُرُواْ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ} [الصافات: ٢٢ – ٢٣] أنهم حاضرون معهم، فكيف الجمع بينهما؟

▪ أجيب بأن السؤال واقع بعد التبري الكائن من الجانبين، وانقطاع ما بينهم من الأسباب والعلائق وأضيفوا لهم، لأن شركتها بتسميتهم وتقولهم. قال تعالى: و {مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَآبَآؤُكُمْ} [يوسف: ٤٠] الآية.

﴿٩٥﴾

{ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام/٢٣]

قوله: {مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ}

❖ إن قلت: كيف الجمع بين ما هنا وبين قوله ولا يكتمون الله حديثاً.

▪ قلت: أولا ينكرون الإشراك ويحلفون على عدم وقوعهم منهم، ثم يستشهد الله الأعضاء فتنطق الجوارح، فحينئذ يودون لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً، فهم أولاً يظنون أن إنكارهم نافع، فحين تشهد أعضاؤهم يتمنون أن لو كانوا أتراباً ولم يكتموا شيئاً.

﴿٩٦﴾

{وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنعام/٢٧]

قوله: {وَلَوْ تَرَى} المقصود من ذلك حكاية ما سيقع من الكفار يوم القيامة وتسلية للنبي وأصحابه، والمعنى لو تبصر بعينك يا محمد ما يقع لهؤلاء في

الآخرة، لرأيت أمراً عظيماً تتسلى به عن الدنيا، فالخطاب لسيدنا محمد كما قال المفسر.

❖ إن قلت: هذا يقتضي أن رسول الله لم يطلع على ذلك، مع أنه لم يخرج من الدنيا حتى أحاط بوقائع الدنيا والآخرة.

▪ أجيب: بأن هذا قبل إعلام الله له بالآخرة. وأجيب أيضاً بأن الخطاب له والمراد غيره، ورأى إما بصرية وهو الأقرب أو قلبية، والمعنى لو صرفت فكرك الصحيح في تدبير حالهم لازددت يقيناً، ولو يحتمل أنها حرف امتناع، فيكون قوله ترى بمعنى رأيت، وإذ على بابها من المعنى، فيكون عبر بالماضي لتحقق الحصول، ويحتمل أنها بمعنى إن الشرطية وإذ بمعنى إذا، فيكون مستقبلاً، والأقرب الأول.

﴿٩٧﴾

{قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ– متى يعاقبهم –}[الأنعام/٥٨]

❖ إن قلت مقتضى هذه الآية أنه لو كان الأمر مفوضاً له في تعذيبهم لعجله واستراح، ومقتضى ما ورد من إتيان ملك الجبال يستشيره في أنه يطبق عليهم الأخشبين أنه لم يرض وقال أرجو أن يخرج من ذريتهم من يؤمن بالله فحصل التنافي.

▪ أجيب: بأن ما في الآية بالنظر لأصل البشرية، لأن البشر يتأثر بالضر والنفع، وما في الحديث إنما هو رحمة من الله ألقاها عليه فرحمهم الله بها، قال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ} [آل عمران: ١٥٩] فرجع الأمر لله فتدبر.

﴿٩٨﴾

{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ} [الأنعام/٦١]

- قوله: {وَيُرْسِلُ} معطوف على صلة أل كأنه قال وهو الذي يقهر ويرسل، وهذا من جملة قهره سبحانه وتعالى. (ملائكة تحصي أعمالكم) أي من خير وشر، لما ورد أن كل إنسان له ملكان، ملك عن يمينه، وملك عن شماله، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين حالاً، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر لعله يتوب منها، فإذا لم يتب منها كتبها صاحب الشمال، قال العلماء يؤخر ست ساعات فلكية فإن تاب فيها لم تكتب هكذا، قال المفسر: وقيل المراد بالحفظة الملائكة الموكلون بحفظ ذوات العبيد من الحوادث والآفات، وهم عشرة بالليل وعشرة بالنهار، وقيل المراد ما هو أعم وهو الأتم.

❖ إن قلت: إن الله هو الحافظ فلم وكلت الملائكة بحفظ الشخص

- أجيب: بأن ذلك تكرمة لبني آدم وإظهاراً لفضلهم، والحكمة في كون الملائكة تكتب على الشخص ما صدر منه أنه إذا علم ذلك، ربما كان ذلك داعياً للخوف والانزجار عن فعل القبائح والمعاصي. قوله: {رُسُلُنَا} أي أعوان ملك الموت الموكلون بقبض الأرواح.

❖ إن قلت: قال تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} [الزمر: ٤٢] وقال في الآية الأخرى {قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ} [السجدة: ١١] فكيف الجمع بين هاتين الآيتين وهذه

- أجيب: بأن الله هو المتوفي حقيقة، فإذا حضر أجل العبد، اشتغلت أعوان

ملك الموت بانتزاعها من الجسد، فإذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت بيده، فهو القابض لجميع الأرواح

❖ إن قلت: ورد في بعض الأحاديث وتول قبض أرواحنا عند الأجل بيدك

▪ أجيب: بأن معناه شهود الرب واستيلاء محبته على قلبه حتى يغيب عن إحساسه، فلا يشاهد ملك الموت حين يقبض الروح، وإن كان هو القابض لها، وذلك في أهل محبة الله، ومن يموت شهيد حرب أو غريقاً أو حريقاً ونحوهم.

﴿٩٩﴾

{وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام/٩٣]

قوله: {وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ} تقدم أن الكافر موكل به سبع من الملائكة يعذبونه عند خروج روحه، لأن الكافر يكره لقاء الله، فتأبى روحه الخروج فيخرجونها كرهاً.

❖ إن قلت: إن المؤمن يكره الموت أيضاً.

▪ أجيب: بأن المؤمن وإن أحب الحياة وكره الموت لكن ذلك قبل احتضاره ومعاينته ما أعد الله له من النعيم الدائم، وأما إذا شاهد ذلك هانت عليه الدنيا وأحب الموت ولقاء الله، وأما الكافر فعند خروج روحه حين يشاهد ما أعد له من العذاب الدائم يزداد كراهة في الموت، وعلى ذلك يحتمل ما ورد: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه.

﴿١٠٠﴾

{وَذَرُواْ ظَاهِرَ الإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ} [الأنعام/١٢٠]

قوله: {سَيُجْزَوْنَ} (في الآخرة) أي العذاب الدائم إن كان مستحلاً، أو بالعذاب مدة، ويخرج إن لم يكن مستحلاً، ومات من غير توبة ولم يعف الله عنه، فإن تاب الكافر قبل قطعاً، وإن تاب المسلم فقيل كذلك، وقيل تقبل ظناً.

❖ إن قلت: لأي شيء اختلف في توبة المسلم دون الكافر؟

- وأجيب: بأن رحمة الله سبقت غضبه، فلو جاز عدم القبول لتوبة الكافر، لكان مخلداً في النار، مع أن رحمته غلبت غضبه. وأما المؤمن فهو مقطوع له بالجنة، فلو لم يقبل توبته وعذبه، فلا بد له من الرحمة، انتهاء غاية ما هناك عذابه تطهير له.

﴿١٠١﴾

{يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ} [الأنعام/١٣٠]

قوله: {وَشَهِدُواْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ} كرر شهادتهم على أنفسهم لاختلاف المشهود به، فأولاً شهدوا بتبليغ الرسل لهم، وثانياً شهدوا بكفرهم زيادة في التقبيح عليهم، والمقصود من ذكر ذلك الاتعاظ به، والتحذير من فعل مثل ذلك.

❖ إن قلت: إن شهادتهم بكفرهم تدل على أنهم أقروا به، وهو مناف لقوله تعالى: {وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: ٢٣]

- أجيب: بأن مواقف القيامة مختلفة فأولاً حين يرون المؤمنين توزن أعمالهم، ويمشون على الصراط لدخول الجنة، ينكرون الاشراك، طمعاً في دخولهم في زمرة المؤمنين، فحينئذ يختم على أفواههم، وتنطق أعضاؤهم قهراً عليهم وتقر بالكفر.

﴿١٠٢﴾

{هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ} [الأنعام/١٥٨]

❖ إن قلت: إن ظاهر الآية يقتضي أنهم مصدقون بهذه الأشياء حتى أثبت لهم انتظار أحدها

- أجيب بأن هذه الأشياء لما كانت محتمة، عوملوا معاملة المنتظر، ولم يعول على اعتقادهم، فالمعنى لا مفر لهم من ذلك.

﴿١٠٣﴾

{مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} [الأنعام/١٦٠]

قوله: {أَمْثَالِهَا} جمع مثل

❖ إن قلت: إنه مذكر، فكان مقتضاه تأنيث العدد، قال ابن مالك:

ثلاثة بالتاء قل للعشرة...في عد ما آحاده مذكره

في الضدد جرد الخ...

- وأجيب بأنه جرد التاء مراعاة لإضافة مثل لضمير الحسنة، فكأنه اكتسب

التأنيث من المضاف إليه، أو يقال إن أمثال صفة لموصوف محذوف تقديره عشر حسنات أمثالها، فجرد العدد من التاء مراعاة الموصوف المحذوف، وإلى هذا الثاني أشار المفسر بقوله: (أي جزاء عشر حسنات).

﴿١٠٤﴾

{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [الأنعام/١٦٤]

قوله: {وِزْرَ أُخْرَى}

❖ إن قلت: كيف هذا مع قوله تعالى: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ} [العنكبوت: ١٣]، وقوله عليه الصلاة والسلام: " من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة "؟

- أجيب بأن ما هنا محمول على من لم يتسبب فيه بوجه، وفي الآية الأخرى والحديث محمول على من تسبب فيه، فعليه وزر المباشرة، ووزر التسبب، ووزر الفاعل لا يفارقه.

﴿١٠٥﴾

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} [الأنعام/١٦٥]

قوله: {إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ}

❖ إن قلت: إن الله حليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه، فكيف وصف بكونه سريع العقاب؟

- أجيب: بأن كل آت قريب، أو المعنى سريع العقاب إذا جاء وقته، وأكد الجملة الثانية هنا باللام، وفي الأعراف الجملتين، لأن الوعيد المتقدم هنا، أخف من الوعيد المتقدم هناك، فالوعيد هنا هو قوله: {وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا} [الأنعام: ١٦٠]، وأما في الأعراف فهو قوله: {وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ} [الأعراف: ١٦٥]، وقوله: {كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ} [الأعراف: ١٦٦]، فالمقام هنا لغلبة الرحمة، فلذلك أكدت دون العقاب، وأما هناك فالمقام لهما، فلذلك أكدا معاً.

﴿١٠٦﴾

{ويَآآدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ – حواء – الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأعراف/١٩]

- قوله: (حواء) سميت بذلك لأنها خلقت من حي وهو آدم، وذلك أن آدم لما أسكن الجنة، مشى فيها مستوحشاً، فلما نامت خلقت من ضلعه القصير من شقه الأيسر، ليسكن إليها ويأنس بها، فلما استيقظ ورآها مال إليها، فقالت له الملائكة: يا آدم حتى تؤدي مهرها، فقال: وما مهرها؟ فقالوا: ثلاث صلوات أو عشرون صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

❖ إن قلت: إن شرط المهر أن يكون متمولاً، وهذا ليس بمتمول.

- أجيب: بأن هذا الشرط في شرع محمد، ولم يكن في شرع آدم، وأيضاً الأمر هو الله وهو يحكم لا معقب لحكمه، وأيضاً من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزوج بلا مهر أصلاً، فلما كان هو الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت لكل أحد، حتى أبيه آدم، وأمر الله آدم بالسكون في الجنة، قيل قبل

دخول الجنة، فتوجيه الخطاب لحواء باعتبار تعلق علم بها، فإنها لم تكن خلقت إذ ذاك، وقيل بعد الدخول وهو المعتمد، وعليه فيكون المراد من الأمر بالسكون الاستمرار.

﴿١٠٧﴾

{فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} [الأعراف/٢٠]

- قوله: {فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ} الوسوسة: الحديث الخفي الذي يلقيه الشيطان في قلب الإنسان على سبيل التكرار.

❖ إن قلت: إن الأنبياء معصومون من وسوسة الشيطان، وظاهر الآية يقتضي أن الشيطان وسوس لآدم.

- أجيب: بأنه لم يباشر آدم بالوسوسة، وإنما باشر حواء، وهي باشرت آدم بذلك، قال محمد بن قيس: ناداه ربه يا آدم لم أكلت منها وقد نهيتك؟ قال: أطعمتني حواء، قال لحواء: لم أطعمتيه؟ قالت: أمرتني الحية، قال للحية: لم أمرتيها؟ قالت: أمرني إبليس، قال الله: أما أنت يا حواء فلأدمينك كل شهر كما أدميت الشجرة، وأما أنت يا حية فأقطع رجليك فتمشين على وجهك وليشدخن رأسك كل من لقيك، وأما أنت يا إبليس فملعون.

❖ إن قلت: كيف وسوس لهما وهو خارج الجنة؟

- أجيب: بأن وسوسته وإن كانت خارج الجنة، إلا أنها وصلت لهما بقوة جعلها الله له على ذلك، أو أنه تحيل على دخول الجنة بدخوله في جوف الحية ووسوس لهما

﴿١٠٨﴾

{وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا- طاقتها من العمل اعتراض بينه وبين خبره وهو - أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الأعراف/٤٢]

- قوله: (اعتراض) وحكمته تبكيت الكفار وتنبيههم على أن الجنة مع عظم قدرها، يتوصل إليها بالعمل السهل من غير كلفة ولا مشقة.

❖ إن قلت ورد أن الجنة حفت بالمكاره، فكيف تقولون إن الجنة يتوصل إليها بالعمل السهل؟

- أجيب بأن المراد بالمكاره مخالفة شهوات النفس، وهي في طاقة العبد، فالمراد بالعمل السهل كما كان في طاقة العبد كان فعلاً أو تركاً.

﴿١٠٩﴾

{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف/٤٣]

- قوله: {بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} الباء سببية، وما مصدرية، أي بسبب عملكم.

❖ إن قلت ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لن يدخل الجنة أحد بعمله، قيل ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته "

- أجيب بأن الآية محمولة على العمل المصحوب بالفضل، والحديث محمول على العمل المجرد عنه.

﴿١١٠﴾

{وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [الأعراف/٤٤]

- قوله: {وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ}

❖ إن قلت: إذا كانت الجنة في السماء والنار في الأرض، فكيف يسمعون النداء؟

- أجيب: بأن القيامة خارقة للعادة، فلا مانع من وصول النداء لهم، وهذا النداء من كل فرد من أفرد أهل الجنة، لكل فرد من أفراد أهل النار، لأن مقابلة الجمع بالجمع تقتضي القسمة على الآحاد.

﴿١١١﴾

{وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [الأعراف/١٦٣]

- قوله: {وَاسْأَلْهُمْ} أي اليهود الذين في المدينة، وسبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوبخ اليهود على كفرهم، ويقول لهم أنتم قد تبعتم أصولكم في الكفر بأنبيائهم، فكانوا يقولون إن أصولنا لم تقع منهم مخالفة لربهم، ولا كفر بأنبيائهم، وكانوا يعرفون ما وقع لهذه القرية ويخفونه، ويعتقدون أنه لا علم لأحد غيرهم به، فنزلت الآية، فقصها رسول الله عليهم فبهتوا.

❖ إن قلت: إن السورة مكية، وهذا خطاب لأهل المدينة

- فالجواب أنها مكية ما عدا تلك الآيات الثمانية التي أولها: {وَاسْأَلْهُمْ} الخ فإنها مدنية كما تقدم.

﴿١١٢﴾

{قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَآءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف/١٨٨]

قوله: {وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ} الخ

❖ إن قلت: إن هذا يشكل مع ما تقدم لنا، أنه اطلع على جميع مغيبات الدنيا والآخرة

- والجواب: أنه قال تعالى تواضعاً أو أن علمه بالمغيب كلاً، علم من حيث إنه لا قدرة له على تغيير ما قدر الله وقوعه، فيكون المعنى حينئذ، لو كان لي علم حقيقي بأن أقدر على ما أريد وقوعه لاستكثرت الخ

❖ إن قلت: إن دعاءه مستجاب لا يرد.

- أجيب: بأنه لا يشاء إلا ما يشاؤه الله، فلو اطلع على أن هذا الشيء مثلاً لا يكون كذا لا يوفق للدعاء له، إذ لا يشفع ولا يدعو إلا بما فيه إذن من الله، واطلاع منه على أنه يحصل ما دعا به، وهو سر قوله تعالى: {مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} [البقرة: ٢٥٥]، وفي ذلك المعنى قال العارف: وخصك بالهدى في كل أمر...فلست تشاء إلا ما يشاء ....وللخواص من أمته حظ من هذا المقام، ولذا قال العارف أبو الحسن الشاذلي: إذا أراد الله أمراً، أمسك ألسنة أوليائه عن الدعاء ستراً عليهم، لئلا يدعوا فلا يستجاب لهم فيفتضحوا.

﴿١١٣﴾

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال/٣٣]

قوله: {وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} الجملة حالية من الضمير في معذبهم. والمعنى أن الله لا يعذبهم، والحال أنهم يستغفرون، فاستغفارهم نافع لهم، بعدم نزول العذاب عليهم.

❖ إن قلت: يشكل على هذا قوله تعالى: {وَقَدِمْنَآ إِلَى مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَآءً مَّنثُوراً} [الفرقان: ٢٣]، وقوله تعالى: {وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ} [غافر: ٥٠]،

- أجيب: بأن استغفارهم نافع في الدنيا فقط، وأما هاتان الآيتان فالمراد منهما ما يحصل في الآخرة، فأعمال الكفار الصالحة التي لا تفتقر إلى نية، كالصدقات وفعل المعروف والاستغفار، تنفعهم في الدنيا وتمنع عنهم العذاب فيها، ولا تنفعهم في الآخرة.

﴿١١٤﴾

{قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ} [الأنفال/٣٨]

قوله: {فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ} أي كعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ممن هلك

❖ إن قلت: إن هؤلاء قد أصابهم الهلاك العام، وأما أمة محمد صلى الله عليه وسلم فمحفوظة منه.

- وأجيب: بأن التشبيه في مطلق هلاك، وإن كان ما سبق عاماً وهذا خاص، والأقرب أن يراد بالأولين من سبق قبلهم من أولاد عمهم وأقاربهم ممن قتل ببدر، وجملة {فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الأَوَّلِينَ} تعليل لمحذوف ولا يصلح للجواب، وتقدير الجواب: إن يعودوا نهلكهم كما أهلكنا الأولين.

﴿١١٥﴾

{ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ – أن يهلكني – وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال/٤٨]

- قوله: (أن يهلكني) أي بتسليط الملائكة علي.
- ❖ إن قلت: إنه من المنظرين، فكيف يخاف الهلاك حينئذ؟
- أجيب: بأنه لشدة ما رأى من الهول، نسي الوعد بأنه من المنظرين، وما أشار له المفسر جواب عما يقال، إن الشيطان لا خوف عنده، وإلا لما كفر وأضل غيره. وأجيب أيضاً بأن قوله: {إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ} كذب ولا مانع من ذلك.

﴿١١٦﴾

{لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً ولأَوْضَعُواْ خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} [التوبة/٤٧]

- قوله: {لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً} هذا بيان للمفاسد التي تترتب على خروجهم.
- ❖ إن قلت: إن مقتضى العتاب المتقدم أن خروجهم فيه مصلحة، ومقتضى ما هنا أن خروجهم مفسدة، فكيف الجمع بينهما؟
- أجيب بأن خروجهم مفسدة عظيمة، وعتاب الله لنبيه، إنما هو على عدم

التأني، حتى يظهر نفاقهم وفضيحتهم، وليس في خروجهم مصلحة أصلاً، كما علمت.

﴿١١٧﴾

{فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا– بما يلقون في جمعها من المشقة وفيها من المصائب – وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} [التوبة/٥٥]

❖ إن قلت: إن هذا ليس مختصاً بالمنافق، بل المؤمن كذلك بهذا الاعتبار.

▪ أجيب: بأن المؤمن يرجو الآخرة والراحة فيها والتنعم بسبب المشقات، فكأنها ليست مشقة، والمنافق ليس كذلك، فهي حينئذ مشقة في الدنيا والآخرة.

﴿١١٨﴾

{وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ} [التوبة/١٠١]

قوله: {لاَ تَعْلَمُهُمْ}

❖ إن قلت: كيف نفى علمه بحال المنافقين هنا، وثبته في قوله: (ولتعرفنهم في لحن القول)

▪ فالجواب: أن آية النفي نزلت قبل آية الإثبات.

﴿١١٩﴾

{وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [يونس/١٨]

❖ إن قلت إنهم ينكرون البعث ففي أي وقت يشفعون لهم على زعمهم؟

▪ أجيب: بأنهم يرجون شفاعتهم في الدنيا في إصلاح معايشهم.

﴿١٢٠﴾

{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْياً وَعَدْواً حَتَّى إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلِهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ – كرره ليقبل منه فلم يقبل ودس جبريل في فيه من حمأة البحر مخافة أن تناله الرحمة –} [يونس/٩٠]

قوله: (مخافة أن تناله الرحمة) أي وليس من أهلها لسابق علم الله بعدم إيمانه.

❖ إن قلت: ما الحكمة في عدم قبوله مع كون الإيمان وقع منه ثلاث مرات؟

▪ أجيب بأجوبة، منها: أنه إنما آمن عند نزول العذاب، وهو حينئذ غير نافع، قال تعالى: {فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا} [غافر: ٨٥] ومنها: أن الإيمان بالله، من غير إقرار للرسول بالرسالة غير نافع، وفرعون لم يقر برسالة موسى عليه السلام، فلم يصح إيمانه. ومنها: أن قوله: {آمَنَتْ} ليس قاصداً به الإيمان حقيقة، بل قصد به النجاة من البحر على حكم عادته، إذا أصابته مصيبة رجع واستجار. وحكي أن جبريل عليه السلام، أتى لفروعون بفتوى: ما قول الأمير في عبد نشأ في مال مولاه ونعمته، فكفر نعمته، وجحد حقه،

وادعى السيادة دونه؟ فكتب فرعون فيه. يقول أبو العباس الوليد بن مصعب: جزاء العبد الخارج على سيده، الكافر نعمته، أو يغرق في البحر، فلما غرق، رفع جبريل إليه خطه.

﴿١٢١﴾

{وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يابُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ} [هود/٤٢]

قوله: {وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ} أي في البعد عن الركوب معنا

❖ إن قلت: لا يخلو الحال، إما إن يكون هذا الولد مسلماً أو كافراً، فإن كان مسلماً فيبعده كونه في معزل، وإن كان كافراً، فلم عطف عليه وناداه مع علمه بكفره؟

- أجيب: بأنه ذكر العلماء أنه كان منافقاً، يظهر الإسلام ويخفي الكفر، فعند مجيء الطوفان أظهر ما كان يخفيه، ولا مانع من كون الله يخرج الكافر من المؤمن وبالعكس، وهذا الولد قيل كان من صلبه وهو الراجح، وقيل ابن زوجته من نكاح غيره، وقيل كان ولد خبث، ولدته زوجته على فراشه ولم يعلم به، وهذا القول غير وجيه، لقول ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط.

﴿١٢٢﴾

{فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً – خوفا – قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ} [هود/٧٠]

قوله: (خوفاً) أي من أجل امتناعهم من طعامه فخاف منهم الخيانة، على عادة الخائن، أنه لا يأكل طعام من أراد خيانته.

❖ إن قلت: كيف يخاف إبراهيم منهم، مع كونه خليل الرحمن، وهم محصورون في بيته؟

▪ أجيب: بأن خوفه لما رأى فيهم من جلال الله وهيبته، فخوفه من ربه لا من ذواتهم.

﴿١٢٣﴾

{وَجَآءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ ياقَوْمِ هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ} [هود/٧٨]

قوله: {هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ}

❖ إن قلت: إن تلك الفعلة لا طهارة فيها.

▪ أجيب: بأن أفعل التفضيل ليس على بابه، نظير قوله تعالى: {أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ} [الصافات: ٦٢].

﴿١٢٤﴾

{يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ}[هود/١٠٥]

قوله: {يَوْمَ يَأْتِ} (ذلك اليوم)

❖ إن قلت: إن اليوم لا يصلح أن يكون ظرفاً لليوم، وإلا لزم تعيين الشيء بنفسه.

▪ وأجيب: بأن الكلام على حذف مضاف، أي هوله وعذابه، أو المعنى حين يأتي ذلك اليوم إلخ. قوله: {لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} أي فجميع الخلائق يسكنون في ذلك اليوم، فلا يتكلم أحد إلا بإذنه.

❖ إن قلت: كيف يجمع بين ما هنا وبين قوله تعالى {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا} [النحل: ١١١] وقوله تعالى حكاية عن الكفار: {وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: ٢٣]؟

▪ أجيب: بأن القيامة مواطن مختلفة ففي بعضها لا يقدرون على الكلام لشدة الهول، وفي بعضها يحتاجون ويتجادلون، أو المراد لا تكلم نفس بما ينفع وينجي، بل قد يتكلم الكفار بكلام لا نفع به، بل لإظهار بطلان حججهم.

﴿١٢٥﴾

{وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يابُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}[يوسف/١٩]

قوله: {هَذَا غُلاَمٌ} التنكير للتعظيم، لأنه كان عليه السلام حسن الوجه، جعد الشعر، ضخم العينين، مستوي الخلق، أبيض اللون، غليظ الساعدين والعضدين والساقين، وخميص البطن، صغير السرة، وكان إذا تبسم ظهر النور من ضواحكه وإذا تكلم ظهر من ثناياه، وبالجملة لم يكن أحسن منه إلا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فإن يوسف أعطي شطر الحسن، ورسول الله أعطي الحسن كاملاً، قال البوصيري:

منزه عن شريك في محاسنه...فجوهر الحسن فيه غير منقسم

❖ إن قلت: إذا كان كذلك، فلم لم تفتتن النساء بجمال محمد صلى الله عليه وسلم كما افتتنَّ بجمال يوسف؟

▪ أجيب: بأن جمال محمد قد ستره الله بالجلال كالشمس، لا يستطيع أحد أن يتأمل فيها إذا قرب منها، ولذا لم ترو الشمائل الشريفة، إلا عن صغار

الصحابة، كالحسن والحسين وعبد الله بن عمر وغيرهم، لا عن كبارهم، لقيام الجلال بقلوبهم فيمنعهم من وصفه، وأما جمال يوسف فهو ظاهر، لم يستتر بجلال كالبدر، فحينئذ يتأمل فيه المتأمل ويصفه الواصف، غير أنه يعجز عن استعياب محاسنه، ومن هذا المعنى قول ابن الفارض:

لو أسمعوا يعقوب بعض ملاحة...في وجهه نسي الجمال اليوسفي

﴿١٢٦﴾

{وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [يوسف/٢٥]

❖ إن قلت: مقتضى قوة الرجولية أنه يسبقها ولم يعقه عائق.

▪ أجيب: بأن الذي عاقه عن السبق، إنما هو الاشتغال بفتح الأبواب.

﴿١٢٧﴾

{قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ} [يوسف/٢٦]

قوله: {إِن كَانَ قَمِيصُهُ} إلخ

❖ إن قلت: إن القميص أمر ثان من قبل، فلا معنى للتعليق عليه

▪ والجواب أن يقال: إن المعنى إن ثبت أن قميصه قد من قبل إلخ.

﴿١٢٨﴾

{يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ} [يوسف/٢٩]

قوله: {وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ}

❖ إن قلت: إنهم قوم مشركون فلا يعرفون ذنباً مع خالقهم، فما الذنب الذي يطلب الاستغفار منه؟

- أجيب: بأن المراد بالذنب خيانتها لزوجها، وفي هذا إشارة إلى أن العزيز قليل الغيرة، ولذا قال بعضهم: إن تربة مصر تقتضي ذلك؟ ولذا لا ينشأ فيه الأسد، ولو دخل فيها لا يبقى.

﴿١٢٩﴾

{قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ} [يوسف/٣٣]

قوله: {أَحَبُّ إِلَيَّ} اسم التفضيل ليس على بابه، إذ ليس له فيما يدعونه إليه محبة ورغبة.

❖ إن قلت: هو مجاب الدعوة، فلم طلب النجاة بالسجن، ولم يطلب النجاة العامة؟

- أجيب: بأنه اطلع على أن السجن محتم عليه فدعا به، لأن النبي لا ينطق الهوى.

﴿١٣٠﴾

{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} [يوسف/٥٥]

قوله: {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ}

❖ إن قلت: إن في ذلك القول التقدم والإمارة، وهو لا يليق بالأخيار.

- أجيب: بأن محل هذا ما لم يتعين عليهم، وإلا فحينئذ يجب طلبها، وأيضاً ذلك بوحي من الله، وكان بين ذلك القول وتوليته على الخزائن سنة، وإنما

أخره الملك سنة قبل التولية بالفعل مع مزيد رغبته فيه، ليشتهر قبل التولية بين أهل المملكة في أطراف القطر، ويصير معروفاً للخاص والعام، وأنه ذو المكانة والأمانة عند الملك.

- قوله: {إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ} تعليل لما قبله، ومفعول اجعل الثاني محذوف، والتقدير اجعلني أميناً على خزائن الأرض فإني حفيظ عليم.

❖ إن قلت: إن في هذا تزكية للنفس، وقد نهى الله عن ذلك بقوله: {فَلاَ تُزَكُّواْ أَنفُسَكُمْ} [النجم: ٣٢].

- أجيب: بأن محل النهي حيث قصد بها الفخر والكبر على خلق الله، بخلاف ما إذا قصد بها إيصال النفع للغير والإخبار بالواقع، فلا ضرر في ذلك، بل ذلك من باب التحدث بالنعم، وهو مأمور به شرعاً.

﴿١٣٠﴾

{وَقَالَ يابَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِي عَنكُمْ مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} [يوسف/٦٧]

إن قلت: لما أمرهم بذلك في هذه المرة، ولم يأمرهم في المرة الأولى؟

- أجيب بجوابين: الأول لكون معهم بنيامين وهو عزيز عليه، فخاف عليهم من أجل كونه معهم، والثاني أنهم اشتهروا في مصر بأنهم أولاد رجل واحد، وفيهم نور النبوة والشهامة والجمال، سيما وقد كانوا عند الملك بمنزلة، بخلاف المرة الأولى.

﴿١٣١﴾

{قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ} [يوسف/٨٥]

قوله: {قَالُواْ تَاللهِ} أي تسلية له على ما نزل به من الحزن العظيم.

❖ إن قلت: كيف حلفوا على شيء لا يعلمون حقيقته؟

▪ أجيب: بأنهم حلفوا على غلبة الظن، وهي بمنزلة اليقين، فهو من لغو اليمين الذي لا يؤاخذ به العبد.

﴿١٣٢﴾

{فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ ياأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ- بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا - إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ} [يوسف/٨٨]

قوله: (بالمسامحة) وقيل برد أخينا بنيامين.

❖ إن قلت: إن ما فعلوه خلاف ما أمرهم به أبوهم، من التحسس من يوسف وأخيه

▪ أجيب: بأن أبواب التحسس كثيرة وهذا منها، لأن الاعتراف بالعجز، وضيق اليد وشدة الحاجة، مما يرقق القلب، فإن كان يوسف فسيظهر لهم حاله، لحصول الرقة والعطف منه لهم، وإن كان غيره فلا يرق ولا يعطف.

﴿١٣٣﴾

{وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ - أوصلته إليه الصبا بإذنه تعالى من مسير ثلاثة أيام أو ثمانية أو أكثر - لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ} [يوسف/٩٤]

قوله: (أوصلته إليه الصبا) هي ريح تهب من مطلع الشمس.

❖ إن قلت: إن ريح الصبا تقابل الذاهب من مصر إلى الشام، فإذا كانت تقابله، فكيف تحمل الريح من القميص الذي معه إلى جهة الشام، فمقتضى العادة أن التي حملت هي الدبور، لأنها هي التي تذهب من جهة مصر إلى الشام؟

- أجيب: بأن هذا خرق عادة، أو يقال إن هذا ظاهر إذا كانت حملته لمقابلتها فقط، وأما ما حصل، فقد فاح شذاه على جميع الدنيا، ولذا قال مجاهد: هبت ريح فصفقت القميص، ففاحت روائح الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوب، فوجد ريح الجنة في ذلك القميص، وحينئذ فحمل الصبا لريحه ظاهر، لأنها لم تحمل ريحه ليعقوب فقط، بل حملته لأهل الدنيا، وقد بالغ الناس في مدح الصبا، حتى قال بعض الحكماء: لو توالت على الأرض سبعة أيام لأنبتت الزعفران.

﴿١٣٤﴾

{وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً – سجود انحناء – وَقَالَ ياأَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَآءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [يوسف/١٠٠]

- قوله: (سجود انحناء) أي على عادة تحية الملوك، وهذا أحد قولين، وقيل المراد بالسجود حقيقته، وهو وضع الجبهة على الأرض، ولا يشكل على هذا أن حقيقة السجود لا تكون إلا الله، لأنه يقال: إن يوسف جعل كالقبلة لذلك السجود، وما قيل في سجود الملائكة لآدم يقال هنا.

❖ إن قلت: كيف رضي يوسف بسجود أبيه له، مع كونه أكبر منه، وكان الواجب مراعاة الأدب؟

- أجيب: بأن هذا بأمر من الله تحقيقاً لرؤيا يوسف، لأن رؤيا الأنبياء وحي.

﴿١٣٥﴾

{رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ} [يوسف/١٠١]

قوله: {تَوَفَّنِي مُسْلِماً}

❖ إن قلت: كيف يطلب الموت مع أن تمنيه لا يجوز؟

- أجيب: بأنه علم بالوحي قرب أجله، فطلب ما يكون عند الموت، وهو اللحوق بالصالحين، فمحط طلب الموت على ما بعده.

❖ إن قلت: إن كل نبي مقطوع بموته على الإسلام، فلم طلب ذلك؟

- أجيب: بأن الله تجلى على يوسف بخوف الإجلال فطلب ذلك، لأن المعصوم عند ذلك ينسى العصمة.

﴿١٣٦﴾

{وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَآءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيباً مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ} [الرعد/٣١]

قوله: {لَّوْ يَشَآءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً} أي ولكن لم يفعل ذلك لعدم تعلق مشيئته باهتدائهم.

❖ إن قلت: لم لم يجب الله نبيه بعين ما طلبوا، كما أجاب صالحاً في الناقة، وعيسى في المائدة، مع علمه بأنهم لا يؤمنون؟

- أجيب: بأنه جرت عادة الله في عباده الكفار، أنهم متى طلبوا شيئاً من المعجزات، وعاهدوا نبيهم على الإيمان عند مجيئها ولم يؤمنوا، أنه يهلكهم ويقطع دابرهم عن آخرهم، وقد أراد الله إبقاء هذه الأمة المحمدية، وعدم استئصالها بالهلاك، إكراماً لنبيها، فلم تحصل الإجابة بعين ما طلبوا رحمة بهم وإكراماً لنبيهم.

﴿١٣٧﴾

{يَمْحُواْ اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ – أصله الذي لا يتغير منه شيء وهو ما كتبه في الأزل –}[الرعد/٣٩]

قوله: (وهو ما كتبه في الأزل) أي قدره بمعنى تعلق به علمه وإرادته، وما مشى عليه المفسر، من أن الصحف واللوح المحفوظ، يقع فيها التغيير والتبديل، والمراد بأم الكتاب، علم الله المتعلق بالأشياء أزلاً، هو أحد تفسيرين:

❖ إن قلت: يرد على هذا ما ورد أن الله لما خلق اللوح والقلم، وأمر بكتابة ما كان وما يكون وما هو كائن، قال رفعت الأقلام وجفت الصحف.

- أجيب: بأن المراد رفعت الأقلام عما هو مطابق لعلم الله والتفسير الآخر: أن المحو والإثبات، يقعان في صحف الملائكة فقط، والمراد بقوله: {وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} اللوح المحفوظ، وهو لا يقبل التغيير ولا التبديل، والحاصل: أن ما في علم الله، لا يقبل التغيير جزماً، وما في الصحف يقبل التغيير جزماً، والخلاف في اللوح المحفوظ، والآية محتملة، والله أعلم بحقيقة الحال.

﴿١٣٨﴾

{وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [إبراهيم/٤]

قوله: {وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ} أي محمداً أو غيره فظاهر.

❖ إن قلت: إن كان المراد بقومه الذين نشأ فيهم، وإن كان المراد الذين أرسل لهم، فرسول الله أرسل لكافة الخلق، مع أنه لم يظهر منه إلا اللسان العربي، وهو لسان بعض قومه

▪ أجيب: بأن الله علمه جميع اللغات، فكان يخاطب كل قوم بلغتهم، وإن لم يثبت أنه تكلم باللغة التركية، لأنه لم يتفق أنه خاطب أحداً من أهلها، ولو خاطبه لكلمه بها.

﴿١٣٩﴾

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِناً وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ – ذا أمن وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرما لا يسفك فيه دم إنسان ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يتخلى خلاه –} [إبراهيم/٣٥]

❖ إن قلت: إن قوله: {آمِناً} يعارضه ما روي: أن ذا السويقتين يخرب البيت، ويخيف أهله في آخر الزمان.

▪ أجيب: بأن معنى الأمن الطمأنينة، ظاهراً وباطناً، من سطوات الخالق والمخلوق، للحيوان العاقل، وغيره غالباً، فلا ينافي حدوث النوادر من بعض الجبابرة. وأجيب أيضاً: بأن المراد الأمن من الخراب إلى قرب الساعة، فإن ذا السويقتين، يخرب الكعبة قرب الساعة، بعد موت عيسى عليه السلام....

قوله: {وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ} المراد أولاده وأولاد أولاده، كإسماعيل وإسحاق

ويعقوب والأسباط.

❖ إن قلت: إن الأنبياء معصومون من الشرك، ففي دعائه تحصيل الحاصل.

- والجواب الأتم: أن دعاءه تشريع وتعليم وتذلل وتواضع، مع كونه يعلم عصمة نفسه، ويقال مثل هذا في دعوات باقي الأنبياء بالنجاة، مما هم معصومون منه، كعذاب النار، وغضب الجبار، ونحو ذلك.

﴿١٤٠﴾

{رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} [إبراهيم/٤١]

قوله: {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي}

❖ إن قلت كيف يطلب المغفرة، مع أنه نبي معصوم من جميع الذنوب؟

- أجيب: بأن المغفرة لا تستدعي سبق ذنب، بل تكون من الطاعات، كما إذا ارتقى مقاماً أعلى مما كان فيه، فيستغفر الله مما كان فيه، على حد ما قيل في قوله: صلى الله عليه وسلم " إني ليغان على قلبي فأستغفر الله سبعين مرة " قوله: (هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله) جواب عما يقال: كيف ساغ لإبراهيم طلب المغفرة لأبويه وهما كافران.

﴿١٤١﴾

{رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ} [الحجر/٢]

قوله: (ورب للتكثير) أي وما كافة لها عن الجر.

❖ إن قلت: إن (رب) إذا دخلت عليها ما الكافة، اختصت بالفعل الماضي، وهنا قد دخلت على المضارع.

- أجيب: بأن المضارع بالنسبة لعلم الله واقع ولا شك، فلا تفاوت بين ماض

ومستقبل بالنسبة لعلمه تعالى، وإنما ذلك بالنظر لعقولنا.

﴿١٤٢﴾

{قَالَ ياإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ} [الحجر/٣٢]

❖ إن قلت: إن مكالمة الله تعالى بدون واسطة شرف وتعظيم، وإبليس ليس من أهل ذلك.

- أجيب: بأن محل كونها شرفاً إن كانت على سبيل الإكرام، وأما كلام الله تعالى لإبليس، فهو على سبيل الإهانة والطرد، فلم يكن تشريفاً.

﴿١٤٣﴾

{وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ}[الحجر/٨٧]

قوله: {وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي} سبب نزولها أن سبع قوافل، أتت من بصرى وأذرعات في يوم واحد، ليهود قريظة والنضير، فيها أنواع من البز والطيب والجواهر، فقال المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقربنا بها، وأنفقناها في سبيل الله فنزلت، والمعنى قد أعطيتكم سبع آيات، خير لكم من سبع قوافل.

❖ إن قلت: إن مقتضى ذلك، أن تكون الآية مدنية، مع أنه تقدم أن السورة مكية بإجماع.

- أجيب: بأنه لا مانع أن هذه الآية نزلت مرتين، مرة بمكة مرة بالمدينة.

﴿١٤٤﴾

{كَمَآ أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ} [الحجر/٩٠]

قوله: {كَمَآ أَنْزَلْنَا} الكاف حرف تشبيه وجر، وما اسم موصول في محل جر، والجار والمجرور متعلق بمحذوف، والتقدير: وقل: إني أنا النذير لكم بالعذاب، كالعذاب الذي أنزلناه على المقتسمين والماضي بمعنى المستقبل، إذ الذي نزل بأهل مكة لم يكن واقعاً حين نزول الآية، بل وقع بعد الهجرة، وكذا ما وقع للمقتسمين طرق مكة لم يكن واقعاً حينئذ، بل وقع يوم بدر

❖ إن قلت: إن العذاب المنذر، ينبغي تشبيهه بشيء قد وقع ليحصل به الاتعاظ.

▪ أجيب: بأنه سهل ذلك تحتم نزوله، فكأنه واقع ولا بد، وقد تحقق ذلك يوم بدر.

﴿١٤٥﴾

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ} [النحل/١٠]

❖ إن قلت: إنه ليس خاصاً ببني آدم، بل هو عام لكل حيوان.

▪ أجيب: بأن بني آدم هم المقصودون بالذات، وغيرهم بالتبع، والضمير في {مِّنْهُ} عائد على الماء، أي تشربون من ماء السماء.

❖ إن قلت: إن غالب الشرب، يكون من السحاب والأنهار والعيون، وهي بالأرض.

▪ أجيب: بأن أصل الماء الكائن في الأرض من السماء، لقوله تعالى {وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ} [المؤمنون: ١٨].

﴿١٤٦﴾

{إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ – بالبناء للفاعل والمفعول – وَمَا

لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ} [النحل/٣٧]

قوله: (بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان، والمعنى أن من أراد الله إضلاله، فلا تمكن هدايته، فلا تتعب نفسك في هداه.

❖ إن قلت: إن التكليف لمن أراد الله عدم هداه بالهدى تكليف بالمستحيل.

- أجيب: بأنه لا يسأل عما يفعل.

﴿١٤٧﴾

{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلكِن يُؤَخِّرُهُمْ إلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ} [النحل/٦١]

قوله: {وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ} أي لايتقدمون على الأجل المعين الذي حضر.

❖ إن قلت: إنه لا يحسن ترتبه على الشرط لأن الأجل إذا جاء، لا يتوهم التقدم عليه إذ هو مستحيل، ولا ينفى إلا ما يتوهم ثبوته.

- أجيب: بأن قوله: {وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ} معطوف على جملة الشرط، وجوابه كأنه قال: فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون عنه ساعة، وإذا لم يجئ لا يتسقدمون عليه.

﴿١٤٨﴾

{يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} [النحل/١١١]

قوله: {عَن نَّفْسِهَا}

❖ إن قلت: إن ظاهر الآية مشكل، لأنه يقتضي أن النفس لها نفس وليس كذلك.

- أجيب: بأن المراد بالنفس الأولى، الإنسان المركب من جسم وروح وحقيقة، والمراد بالنفس الثانية، الذات المركبة من جسم وروح غير ملاحظ فيها الحقيقة فاختلفا بالاعتبار، فكأنه قال: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته ولا يهمه غيره، والمراد بالمجادلة الاعتذار بما لا يقبل منهم، كقولهم: والله ربنا ما كنا مشركين، روي عن ابن عباس أنه قال: ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة، حتى يخاصم الروح الجسد، فيقول الروح: يا رب لم يكن لي يد أبطش بها، ولا رجل أمشي بها، ولا عين أبصر بها، فضعف عليه العذاب، فيقول الجسد: يا رب أنت خلقتني كالخشبة، ليس لي يد أبطش بها، ولا رجل أمشي بها، ولا عين أبصر بها، فجاء هذا الروح كشعاع النور، فيه نطق لساني، وبه أبصرت عيناي، وبه مشت رجلاي، فيضرب الله لهم مثلاً، أعمى ومقعداً دخلا حائطاً أي بستاناً فيه ثمار، فالأعمى لا يبصر الثمر، والمقعد لا يتناوله. فحمل الأعمى المقعد فأصابا الثمر، فعلى من يكون العذاب؟؟ قالا: عليهما، قال: عليكما جميعاً العذاب. إذا علمت ذلك، تعلم أن هذا الوعيد خاص بالكافر، وأما المؤمن فهو في أمن وأمان، لا يحزنه الفزع الأكبر، وإن كان يحصل له الخوف من جلال الله وهيبته، لأن الله تعالى سبحانه وتعالى في ذلك اليوم، يتجلى بالجلال على عباده، فيخاف المسلمون والمشركون، فالمشركون يخافون من العذاب اللاحق لهم، والمسلمون يخافون من هيبته تعالى، وإن كانوا مطمئنين بالإيمان.

﴿١٤٩﴾

{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ

هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [النحل/١٢٥]

- قوله: {وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} حكمة التعبير في جانب أهل الهدى بصيغة الاسم، وفي جانب أهل الضلال بالفعل، الإشارة إلى أن أهل الهدى، استمروا على الفطرة الأصلية، وأهل الضلال غيروا تلك الفطرة وبدلوها بأحداث الضلال.

- إن قلت: قوله تعالى: {إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ} [العصر: ٢ – ٣] الخ، يقتضي أن الأصل في الإنسان، الضلال والهدى طارئ عليه.

- أجيب: بأنه محمول على العالم الجسماني، أي أن الأصل في الإنسان، باعتبار عالم الأجساد الخسران والضلال، والهدى طارئ ببعثه الرسل، وما في هذه الآية محمول على عالم الأرواح، وهو الأصيل، لأن الله لما خاطب الأرواح في عالم الذر وقال لهم: ألست بربكم؟ قالوا جميعاً: بلى، فالمهتدي في عالم الأجساد استصحب ذلك الأصل، ومن ضل في عالم الأجساد، فقد نسي ذلك العهد، وتبع شهوات نفسه.

﴿١٥٠﴾

{سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} [الإسراء/١] أي العالم بأقوال النبي صلى الله عليه و سلم وأفعاله فأنعم عليه بالإسراء المشتمل على اجتماعه بالأنبياء وعروجه إلى السماء ورؤية عجائب الملكوت ومناجاته له تعالى فإنه صلى الله عليه و سلم قال : [أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي تربط

فيها الأنبياء ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجائني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن قال جبريل : أصبت الفطرة قال : ثم عرج بي إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل قيل : من أنت قال : جبريل قيل ومن معك ؟ قال : محمد قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بالخير ثم عرج إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل : من أنت فقال : جبريل قيل : ومن معك قال : محمد قيل أو قد بعث إليه قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا بابني الخالة يحي وعيسى فرحبا بي ودعوا لي بالخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت ؟ قال : جبريل فقيل : ومن معك قال : محمد فقيل : أو أرسل إليه قال : قد أرسل إليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت قال جبريل فقيل : ومن معك قال : محمد فقيل : أو قد بعث إليه قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل : فقيل من أنت قال : جبريل فقيل : ومن معك قال : محمد فقيل : أو قد بعث إليه قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت فقال : جبريل فقيل : ومن معك قال : محمد فقيل : أو قد بعث إليه قال : قد بعث إليث ففتح لنا فإذا أنا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل : من أنت فقال : جبريل قيل ومن معك فقال : محمد قيل : أو قد بعث إليه قال : قد بعث إليه ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم فإذا هو مستند إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا أوراقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال فلما غشيها

من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن يصفها من حسنها قال : فأوحى الله إلي ما أوحى وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال : ما فرض ربك على أمتك قلت : خمسين صلاة في كل يوم وليلة قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال : فرجعت إلى ربي فقلت : أي رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت إلى موسى قال : ما فعلت فقلت حط عني خمسا قال : إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال : فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسا خمسا حتى قال : يا محمد هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب فإن عملها كتبت له سيئة واحدة فنزلت حتى انتهت إلى موسى فأخبرته فقال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك فقلت : قد رجعت إلى ربي حتى استحييت] رواه الشيخان واللفظ لمسلم وروى الحاكم في المستدرك عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم [رأيت ربي عز و جل]

- ومن في قوله: {مِنْ آيَاتِنَآ} للتبعيض، أي لنريه بعض آياتنا، وإنما أتى بها تعظيماً لآيات الله، أي أن محمداً، وإن ما رأى، من الآيات العظيمة والعجائب الفخيمة، فهو بعض بالنسبة لآيات الله، وعجائب قدرته، وجلائل حكمته.

- ❖ إن قلت: إن ما هنا يقتضي التبعيض، وقوله تعالى في حق إبراهيم {وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} [الأنعام: ٧٥] أنه لا تبعيض، فظاهر هذا، أن ما رآه إبراهيم، أكثر مما رآه محمد، وهو خلاف الإجماع.

- ▪ أجيب: بأن ملكوت السماوات والأرض، بعض الآيات العظيمة التي رآها

محمد، فإبراهيم رأى بعض البعض.

- قوله: (قيل وقد أرسل إليه؟) المعنى أجاء وقد أرسل إليه؟

❖ إن قلت: إن رسالته ليست خافية عليهم حتى يسألوا عنها.

- أجيب: بأن المراد أرسل إليه للعروج إلى السماوات والمكالمة.

﴿١٥١﴾

{مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} [الإسراء/١٥]

- قوله: {وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} أي لا تحمل نفس مذنبة، بل ولا غير مذنبة، ذنوب نفس أخرى.

❖ إن قلت: ورد في الحديث " من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة " فمقتضاه أنه يحمل وزره فيكون منافياً لهذه الآية.

- أجيب: بأن المراد بالوزر الذي يحمله في الحديث وزر التسبب، ولا شك أن التسبب من فعل الشخص، ومع ذلك فلا ينقص من وزر الفاعل شيء، فالمتسبب الفاعل يعاقب على فعله وتسببه، والفاعل بدون تسبب يعاقب على فعله فقط.

﴿١٥٢﴾

{وَمِنَ الْلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ – فريضة زائدة لك دون أمتك أو فضيلة على الصلوات المفروضة – عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً} [الإسراء/٧٩]

- قوله: (أو فضيلة) تفسير ثان، وهو مبني على أنه في حقه مندوب، فالنافلة على بابها.

❖ إن قلت: على هذا التفسير لا خصوصية للنبي صلى الله عليه وسلم بذلك، بل هم مندوب لأمته كذلك.

- أجيب: بأنها له علو درجات، وشكر لله على نعمائه لما في الحديث " " كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه " فقالت له عائشة: أتفعل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: " أفلا أكون عبداً شكوراً؟ " " ولغيره تكفير لذنوبه وخطراته، وتهجده صلى الله عليه وسلم لم يزد في رمضان ولا في غيره على ثلاث عشرة ركعة اثنتان خفيفتان، وما بقي طوال.

﴿١٥٣﴾

{وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً}[الإسراء/٩٧]

- قوله: {عُمْياً وَبُكْماً وَصُمّاً} أي لا يبصرون ولا ينطقون ولا يسمعون

❖ إن قلت: كيف وصفهم الله بذلك هنا، وأثبت لهم ضد تلك الأوصاف في قوله: {وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ} [الكهف: ٥٣]، {دَعَوْاْ هُنَالِكَ ثُبُوراً} [الفرقان: ١٣]، {سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً} [الفرقان: ١٢]؟

- أجيب: بأن المعنى عمياً لا يرون ما يسرهم، وبكماً لا يتكلمون بحجة، وصماً لا يسمعون ما يسرهم، أو المعنى يحشرون معدومي الحواس، ثم تعاد لهم.

﴿١٥٤﴾

{الْحَمْدُ لِلَّهِ – تعالى وهل المراد الإعلام بذلك للإيمان به أو الثناء به أو هما ؟ احتمالات أفيدها الثالث – الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا} [الكهف/١]

قوله: (أفيدها الثالث) أي أكثرها فائدة، لدلالته على أمرين مقصود كل منهما بالذات.

❖ إن قلت: إن إنشاء الثناء يسلتزم الإعلام، والإعلام يستلزم إنشاء الثناء.

- قلنا: نعم، لكن فرق بين الحاصل المقصود، والحاصل الغير المقصود، فتحصل أنه إذا جعلت الجملة خبرية فقط، كان الثناء حاصلاً غير مقصود، وإن جعلت إنشائية فقط، كان الإيمان بها حاصلاً غير مقصود، وإن استعملت فيهما، كان كل مقصوداً لذاته.

﴿١٥٥﴾

{وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً} [الكهف/٨]

❖ إن قلت: إن قوله: {مَا عَلَيْهَا} صريح في أن الأرض تستمر، فيكون منافياً لقوله في الآية الأخرى {يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ} [ابراهيم: ٤٨]

- أجيب: بأنه خص ما على الأرض من الزينة، لأنه الذي به الغرور والفتنة.

﴿١٤٦﴾

{إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُواْ إِذاً أَبَداً} [الكهف/٢٠]

قوله: {وَلَن تُفْلِحُواْ إِذاً أَبَداً} أي لن تظفروا بمطلوبكم لو وقع منكم ذلك ولو كرهاً.

❖ إن قلت: كيف أثبتوا عدم الفلاح بالعود في ملتهم، مع الإكراه المستفاد من قوله: {إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ} الخ، مع أن المكره غير مؤاخذ بما أكره عليه؟

- أجيب: بأن هذا مخصوص بشريعتنا، وأما من قبلنا، فكانوا يؤاخذون بالإكراه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: " رفع عن أمتي الخطأ والنسان وما استكرهوا عليه ".

﴿١٥٨﴾

{قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَداً} [الكهف/٢٦]

قوله: {قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ}

❖ إن قلت: ما فائدة الأخبار بذلك بعد أن بين الله ذلك؟

- أجيب بأوجه: أحدها: أن المعنى قل الله أعلم بأن الثلاثمائة سنة والتسع، قمرية لا شمسية، خلافاً لزعم بعض الكفار أنها شمسية. ثانيها: أن المعنى الله أعلم بحقيقة لبثهم وكيفيته. ثالثها: أن المعنى الله أعلم بمدة لبثهم قبل البعث وبعده. واعلم أنه اختلف في أصحاب الكهف، هل ماتوا ودفنوا، أو هم نيام وأجسامهم محفوظة؟ والصحيح أنهم نيام، ويستيقظون عند نزول عيسى، ويحجون معه، ويموتون قبل يوم القيامة، حين تأتي الريح اللينة، وكما قال صلى الله عليه وسلم: " وليحجن عيسى ابن مريم ومعه أصحاب الكهف فإنهم لم يحجوا بعد " ذكره ابن عيينة، وفي رواية: مكتوب في التوراة والإنجيل أن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله، وأنه يمر بالروحاء حاجاً ومعتمراً، ويجمع الله له ذلك، فيجعل الله حواريه أصحاب الكهف والرقيم، فيمرون حجاجاً فإنهم لم يحجوا ولم يموتوا أهـ.

﴿١٥٩﴾

{فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا – نسي يوشع حمله عند الرحيل ونسي موسى تذكيره – فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً} [الكهف/٦١]

قوله: (نسي يوشع حمله) هذا يقتضي أنه كان موجوداً على البر حين نسيه يوشع، ولكن الموجود في القصة، أن موسى ويوشع لما وصلا الصخرة التي عندها عين الحياة ناما، ثم استيقظ يوشع، فتوضأ من تلك العين، فانتضح الماء عليه فعاش ووثب في الماء، فهذا يقتضي أنه نسي إخبار موسى بما رأى، فالمناسب للمفسر أن يقول: نسي يوشع أن يخبر موسى بما شاهده من الأمر العجيب.

❖ إن قلت: إن شأن الأمر العجيب عدم نسيانه.

- أجيب بأنه أدهش من عظيم ما رأى من قدرة الله وعظمته، للحكمة التي ترتبت على ذلك.

﴿١٦٠﴾

{قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَآ أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً} [الكهف/٦٣]

قوله: {وَمَآ أَنْسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ}

❖ إن قلت: إن الشيطان لا تسلط له على الأنبياء.

- أجيب: بأنه أضاف النسيان إليه هضماً لنفسه.

﴿١٦١﴾

{قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا

بِمِثْلِهِ مَدَداً} [الكهف/١٠٩]

قوله: {قَبْلَ أَن تَنفَدَ}

❖ إن قلت: إن الآية تدل على نفاد الكلمات وفراغها، لأن مقتضى قوله: {قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي} أنها تفرغ بعد فراغ المداد.

- وأجيب: بأن قبل بمعنى غير.

﴿١٦٢﴾

{اذْهَبَآ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى} [طه/٤٣]

قوله: {اذْهَبَآ إِلَى فِرْعَوْنَ}.

❖ إن قلت: ما حكمة جمعهما في ضمير واحد، مع أن هارون لم يكن حاضراً في محل المناجاة، بل كان في ذلك الوقت بمصر؟

- أجيب: بأن الله كشف الحجاب في ذلك الوقت عن سمع هارون، حتى سمع الخطاب مع أخيه، لكن موسى سمعه من الله بلا واسطة، وهارون سمعه من جبريل عن الله، وهذا أحسن ما يقال.

﴿١٦٣﴾

{قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى} [طه/١٢٣]

قوله: {قَالَ اهْبِطَا} أي قال الله تعالى لآدم وحواء: اهبطا من الجنة، لأن مكثهما فيها كان معلقاً على عدم أكلهما من الشجرة، وقد سبق في علمه تعالى أنهما يأكلان منها، فهو أمر مبرم، والمعلق على المبرم مبرم، فإخراجهما ليس للغضب عليهما، بل لمزيد شرفهما ورفعة قدرهما، لأنهما خرجا من الجنة

منفردين، ويعودان إليها بمائة وعشرين صفاً من أولادهما، لا يحيط بعدة تلك الصفوف إلا الله تعالى.

❖ إن قلت: ما الحكمة في تعليق الخروج على الأكل من الشجرة، ولم يكن بلا سبب؟

▪ أجيب: بأن الله سبحانه وتعالى كريم، ومن عادة الكريم، أن لا يسلب نعمته عن المنعم إليه إلا بحجة، قال تعالى ذلك، بأن الله لم يكن مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

﴿١٦٤﴾

{يُسَبِّحُونَ الَّيلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ – عنه فهو منهم كالنفس منا لا يشغلنا عنه شاغل – } [الأنبياء/٢٠]

قوله: (فهو منهم كالنفس منا) أي فهو سجية وطبيعة لهم، ولا يشغلهم التسبيح عن غيره، كلعن الكفرة، ونزول الأرض، وتبليغ الأحكام، وغير ذلك، كما أن اشتغالنا بالنفس لا يمنعنا الكلام.

❖ إن قلت: إن هذا قياس مع الفارق، لأن آلة النفس غير آلة الكلام، وأما التسبيح واللعن، فهما من جنس الكلام، فاجتماعهما محال.

▪ أجيب: بأن الملائكة لهم ألسنة كثيرة، بعضها يسبحون الله به، وبعضها يلعنون أعداء الله به، فلا يقاسون على بني آدم.

﴿١٦٥﴾

{وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [الأنبياء/٨٣]

ونقل أن سبب قوله: {أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ} أن الدود قصد قلبه ولسانه، فخشي

أن يفتر عن الذكر، ولا ينافي صبره قوله: {أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ} لأن شكوى للخالق، وهي لا تنافي الصبر.

❖ إن قلت: إن الأنبياء يستحيل عليهم المنفر من الأمراض.

▪ أجيب بأن ما نزل به ليس من المنفرات في شيء، وإنما هو حرارة وحكة، ظهرت من آثار نفخ اللعين إبليس، وأعظم الله ضرها لخصوص أيوب تعظيماً لقدره، لأن أشد الناس بلاء، الأنبياء ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل، كما ورد بذلك الحديث.

﴿١٦٦﴾

{وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا – أي جبريل حيث نفخ في جيب درعها فحملت بعيسى – وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَآ آيَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء/٩١]

قوله: (من أن ينال) أي يصل إليه أحد بحلال أو حرام.

❖ إن قلت: المزية ظاهرة في حفظه من الحرام، وأما الحلال فكيف تمدح على التعفف عنه؟

▪ أجيب بأن الترهيب كان مشروعاً لهم، أو لتكون ولادتها خارقة للعادة.

﴿١٦٧﴾

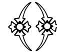
{إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} [الأنبياء/١٠١]

قوله: {أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} أي عن جهنم.

❖ إن قلت: كيف ذلك مع قوله تعالى: {وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا} [مريم: ٧١] والورود يقتضي القرب منها؟

▪ أجيب: بأن المراد مبعدون عن عذابها وألمها، فإن المؤمنين إذا مروا على النار

تخمد وتقول جز يا مؤمن، فإن نورك قد أطفأ لهبي، وهذا لا ينافي الورود.



{يَدْعُواْ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُ وَمَا لاَ يَنفَعُهُ ذلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ} * {يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ} [الحج/١٢، ١٣]

❖ إن قلت: إنه أثبت الضر والنفع هنا، ونفاهما فيما تقدم، فقد حصل التعارض والتناقض.

▪ أجيب: بأن النفي باعتبار ما في نفس الأمر، والإثبات باعتبار زعمهم الباطل.



﴿١٦٨﴾

{الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج/٤٠]

قوله: {إِلاَّ أَن يَقُولُواْ} استثناء مفرغ من محذوف، قدره المفسر بقوله: (ما أخرجوا) وهو متصل، والمعنى لم يكن لهم سبب في إخراجهم، إلا تعصب المشركين عليهم من أجل مخالفتهم في الدين.

❖ إن قلت: إن سبب خروجهم أمر الله لنبيه.

▪ أجيب بأن سبب الخروج باطناً، أمر الله لهم بالخروج، وظاهراً تعصب المشركين عليهم، ولا يصح استثناؤه من المذكور، لأنه يصير المعنى: الذين أخرجوا من ديارهم إلا أن يقولوا ربنا الله، وهو لا يصح.

﴿١٦٩﴾

{وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الحج/٥٢]

قوله: {وَلاَ نَبِيٍّ} عطف على {رَّسُولٍ}.

❖ إن قلت: إن تفسير النبي بكونه لم يؤمر بالتبليغ، ينافي قوله أرسلنا.

- أجيب: بأن الإرسال معناه البعث لنفسه، لأنه أوحي إليه شرع يعمل به في نفسه، وليس مأموراً بتبليغه للخلق، أو يقدر قبل قوله ولا نبي ما يناسبه، كأنه يقال مثلاً: ولا نبأنا من نبي على حد: علفتها تبناً وماءً بارداً.

﴿١٧٠﴾

{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [الحج/٧٥]

قوله: {مِنَ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً}

❖ إن قلت إن هذا يقتضي أن يكون الرسل بعض الملائكة لا كلهم وآية فاطر تقتضي أن الكل رسل.

- أجيب بأن التبعيض بالنسبة لإرسالهم لبني آدم والجميع رسل بالنسبة لبعضهم بعضاً.

﴿١٧١﴾

{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ } [الحج/٧٨]

قوله: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} المراد بالدين أصوله وفروعه، وحيث لم يشدد عليهم كما شدد على من قبلهم، فمن ذلك قبول توبتهم إذا

ندموا وأقلعوا، ولم يجعل توبتهم قتل أنفسهم، وإذا أذنب الشخص منهم ذنباً، ستره الله ولم يفضحه في الدنيا، بأن يجده مكتوباً في جبهته أو على باب داره، كما كان فيمن قبلهم، وجعل النجاسة تزال بالماء دون قطع محلها وغير ذلك

❖ إن قلت: كيف لا حرج في الدين، من أن اليد تقطع بسرقة ربع دينار، والمحصن يرجم بالزنا مرة ونحو ذلك؟

■ أجيب: بأن رفع الحرج لمن استقام على منهاج الشرع، وأما السراق وأصحاب الحدود، فقد انتهكوا حرمة الشرع، وانتقلوا من السهولة للصعوبة، لأن الله لم يحرم المال مطلقاً، ولا النكاح مطلقاً، بل أحل أشياء وحرم أشياء، فما جزاء من يتعدى الحدود، إلا التشديد عليه.

﴿١٧٢﴾

{ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلِكَ لَمَيِّتُونَ} * {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ} [المؤمنون/١٥، ١٦]

قوله: {يَوْمَ الْقِيَامَةِ} أي عند النفخة الثانية.

❖ إن قلت: ما حكمة اختلاف المتعاطفات بثم والفاء، لأنه ورد أن مدة كل طور أربعون يوماً، فإن نظر لآخر المدة وأولها، اقتضى أن يعطف بثم، وإن نظرها لآخرها، اقتضى أن يعطف بالفاء؟

■ أجيب: بأنه نزل التفاوت بين الأطوار منزلة التراخي والبعد الحسي، لأن حصول النطفة من التراب غريب جداً، وكذا جعلها دماً، بخلاف جعل الدم لحماً، فهو قريب لمشابهته في اللون أو الصورة، وكذا جعلها عظاماً، وأما جعلها خلقاً آخر فغريب، وكذا الموت والبعث، فظهر حكمة التعبير في كل موضع بما يناسبه.

﴿١٧٣﴾

{رَبِّ فَلاَ تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ– فأهلك بهلاكهم –} [المؤمنون/٩٤]

قوله: (فأهلك بهلاكهم) أي لأن شؤم الظالم قد يعم غيره.

❖ إن قلت: إن رسول الله معصوم من جعله مع القوم الظالمين، فكيف أمره الله بهذا الدعاء؟

- أجيب: بأنه أمر بذلك اظهاراً للعبودية، وتواضعاً لربه وتعظيماً لآجره، وليكون في جميع الأوقات ذاكراً لله تعالى.

﴿١٧٤﴾

{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِياءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ– بالنار ونور الله : أي هداه للمؤمن نور على نور الإيمان – يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلَيِمٌ} [النور/٣٥]

قوله: (ونور الله أي هداه) الخ، أي فبراهين الله تزداد في قلب المؤمن برهاناً بعد برهان

❖ إن قلت: لم ضرب المثل بنور الزيت، ولم يضربه بنور الشمس والقمر والشمع مثلاً؟

- أجيب بأن الزيت فيه منافع، ويسهل لكل أحد، كما أن المؤمن الكامل الإيمان منافعه كثيرة، واختلف في هذه التشبيه، هل هو تشبيه مركب، بأن قصد فيه تشبيه جملة بجملة، من غير نظر إلى مقابلة جزء بجزء، وذلك بأن يراد مثل نور الله الذي هو هداه وبراهينه الساطعة، كجملة النور الذي يتخذ من هذه

الهيئة، أو تشبيه جزء بجزء، بأن يشبه صدر المؤمن بالمشكاة، وقلبه بالزجاجة، ومعارفه بالزيت، وإيمانه بالمصباح.

﴿١٧٥﴾

{الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً– سواه تسوية –} [الفرقان/٢]

- قوله: (سواه تسوية) أي عدله تعديلاً، بأن جعله على شكل حسن، ودفع بذلك ما قيل: إن الآية فيها قلب، لأن الخلق متأخر عن التقدير، لأن التقدير أزلي، لأنه تعلق العلم والأرادة الأزلي، والخلق حادث لأنه تعلق القدرة التنجيزي الحادث، فأجاب: بأن التقدير معناه التصوير على شكل حسن، ولا شك أن ذلك حاصل بعد إيجاده على طبق العلم والإرادة، وهذا سر قول الغزالي: ليس في الإمكان أبدع مما كان، لأن ما أوجده الله من المخلوقات تعلق به العلم والإرادة أزلاً، فوجد على طبق ذلك، فإذا كان كذلك، كان التغيير لذلك مستحيلاً، لأنه حينئذ ينقلب علم الله جهلاً، وهو لا تتعلق به القدرة.

- إن قلت: يشكل على هذا قوله تعالى: {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ} [إبراهيم: ١٩] وقوله تعالى: {إِنَّا لَقَادِرُونَ * عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْراً مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} [المعارج: ٤٠ – ٤١] فإنه يقتضي أن في قدرة الله إذهاب هذا العالم والإتيان بغيره.

- أجيب: بأن ما في الآية باعتبار التعلق الصلاحي للقدرة والتجويز العقلي، وما قاله الغزالي باعتبار التعلق التنجيزي الذي حصل متعلقه.

﴿١٧٦﴾

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ – بتحقيق الهمزتين – أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ} [الفرقان/١٧]

قوله: (بتحقيق الهمزتين) أي مع ادخال ألف بينهما وتركه، فالتحقيق فيه قراءتان، والتسهيل كذلك، والإبدال واحدة، فتكون خمساً، خلافاً لما يوهمه المفسر مع أنها أربع وكلها سبعية

❖ إن قلت على قراءة الإبدال، يلزم عليه التقاء السكانين على غير حده وهو ممنوع.

- أجيب: بأن محل منعه ما لم يكن مسموعاً، وهذا مسموع من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

﴿١٧٧﴾

{فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ} [الشعراء/٧٧]

قوله: {فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي} أسند العداوة لنفسه تعريضاً بهم، وهو أبلغ في النصيحة من التصريح بأن يقول فإنهم عدو لكم

❖ إن قلت: كيف وصف الأصنام بالعداوة وهي لا تعقل؟

- أجيب بأجوبة منها: أن المعنى عدو لي يوم القيامة إن عبدتهم في الدنيا، ومنها أن الكلام على حذف مضاف؛ أي فإن أصحابهم عدو لي، ومنها أن الكلام على القلب أي فإني عدو لهم.

﴿١٧٨﴾

{فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَادِمِينَ} [الشعراء/١٥٧]

قوله: {نَادِمِينَ} (على عقرها)

❖ **إن قلت: لما لم يرفع عنهم العذاب بسبب ندمهم؟**

- **أجيب: بأن ندمهم لخوف نزول العذاب فقط، لا توبة منهم.**

﴿١٧٩﴾

{قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ – حفيظ أو شهيد فتم العقد بذلك وأمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه وكانت عصي الأنبياء عنده فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة فأخذها موسى بعلم شعيب –} [القصص/٢٨]

قوله: (فتم العقد) أي عقد النكاح والإجارة.

❖ **إن قلت: إن الذي وقع من شعيب وعد، والنكاح لا يكون إلا بصيغة إبرام، وأيضاً لم يبين المنكوحة، وأيضاً الصداق ليست ثمرته عائدة عليها.**

- **وأجيب بجوابين: الأول أن هذا كان في شرعه جائز. الثاني أنه يمكن تنزيله على شرعنا، بأنه قصد بالوعد إنشاء الصيغة، وقد وقع من موسى القبول بقوله: {ذَلِكَ} وبأنه يمكن أنه بيّن المنكوحة بإشارة مثلاً، وأن الغنم يمكن أن يكون بعضها مملوكا لها، فثمرة الرعي عائدة عليها، قوله: (فوقع في يدها عصا آدم) قيل إنه أودعها ملك في صورة رجل عند شعيب، فأمر ابنته أن تأتيه بعصا، فأتته بها فردها سبع مرات، فمل يقع في يدها غيرها، فدفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة عنده، فتبعه فاختصما فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع، فأتاهما الملك فقال ألقياها، فمن رفعها فهي له، فعالجها الشيخ فلم يطقها، فرفعها موسى عليه السلام فكانت له**

﴿١٨٠﴾

{وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ} [القصص/٤٤]

قوله: {وَمَا كنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ}

❖ إن قلت: إن هذا معلوم نفيه من قوله: {وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ} فما ثمرة ذكره عقبه؟

▪ أجيب بأنه لا يلزم من كونه هناك على فرض حصول مشاهدته لذلك، ولذلك قال ابن عباس: لم تحضر ذلك الموضع، ولو حضرته ما شاهدت ما وقع فيه.

﴿١٨١﴾

{وَلَكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ} [القصص/٤٥]

قوله: {وَمَا كُنتَ ثَاوِياً}

❖ إن قلت: إن قصة مدين متقدمة على قصة الإرسال، فكان مقتضى الترتيب ذكرها قبلها.

▪ أجيب: بأن المقصود تعداد العجائب من غير نظر للترتيب، إشارة إلى أن أي واحدة تكفي في إثبات صدقه فيما يخبر به عن ربه.

﴿١٨٢﴾

{وَلَوْلا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } [القصص/٤٧]

❖ إن قلت: إن الآية تقتضي وجود إصابتهم بالمصائب وقولهم المذكور، والواقع

أنهم حين نزول تلك الآيات، لم يصابوا ولم يقولوا.

▪ أجيب: بأن الآية على سبيل الفرض والتقدير، فالمعنى لولا إصابة المصائب لهم، واحتجاجهم على سبيل الفرض والتقدير، لما أرسلناك إليهم، فهو بمعنى قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً} [طه: ١٣٤] الآية.

﴿١٨٣﴾

{إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} [القصص/٥٦]

قوله: {إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ} أي لا تقدر على هدايته.

❖ إن قلت: إن بين هذه الآية وآية {وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الشورى: ٥٢] تناف.

▪ أجيب: بأن المنفي هنا خلق الاهتداء، والمثبت هناك الدلالة على الدين القويم.

﴿١٨٤﴾

{قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} [القصص/٧٨]

قوله: {وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} أي لا يسألهم الله عن ذنوبهم إذا أراد عقابهم.

❖ إن قلت: كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [الحجر: ٩٢ – ٩٣]؟

- أجيب: بأن السؤال قسمان: سؤال استعتاب، وسؤال توبيخ وتقريع، فالمنفي سؤال الاستعتاب الذي يعقبه العفو والغفران، كسؤال المسلم العاصي، والمثبت سؤال التوبيخ الذي لا يعقبه إلا النار، قوله: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ} عطف على قوله: {إِنَّمَآ أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ} وما بينهما اعتراض، وكان خروجه يوم السبت.

﴿١٨٥﴾

{فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [العنكبوت/٣٧]

قوله: {فَكَذَّبُوهُ}.

❖ إن قلت: مقتضى الظاهر أن يقال: فلم يمتثلوا أوامره، لأن التكذيب إنما يكون في الإخبار.

- أجيب: بأن ما ذكره من الأمر والنهي متضمن للخبر، كأنه قيل: الله واحد فاعبدوه، والحشر كائن فارجوه، والفساد محرم فاجتنبوه، فالتكذيب راجع إلى الإخبار.

﴿١٨٦﴾

{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [لقمان/١٩]

قوله: {لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} أي هذا الجنس لما فيه من العلو المفرط من غير حاجة، فإن كل حيوان يصيح من ثقل أو تعب أو غير ذلك، والحمار يصيح لغير سبب، وصياح كل شيء تسبيح لله تعالى، إلا الحمار.

❖ إن قلت: إن دق النحاس بالحديد أشد صوتاً من الحمير.

▪ أجيب: بأن الصوت الشديد لحاجة يتحمله العقلاء، بخلاف الصوت الخالي عن الثمرة والفائدة، وهو صوت الحمار.

﴿١٨٧﴾

{إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً} [الأحزاب/٥٦]

قوله: {ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ} أي ادعوا له بما يليق به، وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على النبي تشريفهم بذلك، حيث اقتدوا بالله في مطلق الصلاة، وإظهار تعظيمه صلى الله عليه وسلم، ومكافأة لبعض حقوقه على الخلق، لأنه الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت لهم، وحق على من وصل له نعمة من شخص أن يكافئه، فصلاة جميع الخلق عليه، مكافأة لبعض ما يجب عليهم من حقوقه.

❖ إن قلت: إن صلاتهم طلب من الله أن يصلي عليه، وهو مصل عليه مطلقاً طلبوا أو لا؟

▪ أجيب: بأن الخلق لما كانوا عاجزين عن مكافأته صلى الله عليه وسلم؛ طلبوا من القادر المالك أن يكافئه، ولا شك أن الصلاة الواصلة للنبي صلى الله عليه وسلم من الله لا تقف عند حد، فكلما طلبت من الله، زادت على نبيه، فهي دائمة بدوام الله. قوله: {وَسَلِّمُواْ تَسْلِيماً}

❖ إن قلت: خص السلام بالمؤمنين، دون الله والملائكة.

▪ أجيب بأن هذه الآية لما ذكرت عقب ذكر ما يؤذي النبي، والأذية إنما هي من البشر، فناسب للتخصيص بهم، لأن في السلام سلامة من الآفات، وأكد

السلام دون الصلاة، لأنها لما أسندت لله وملائكته، كانت غبية عن التأكيد.

واعلم أن العلماء اتفقوا على وجوب الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم اختلفوا في تعيين الواجب، فعند مالك تجب الصلاة والسلام في العمر مرة، وعند الشافعي تجب في التشهد الأخير من كل فرض، وعند غيرهما تجب في كل مجلس مرة، وقيل: تجب عند ذكره، وقيل: يجب الإكثار منها من غير تقييد بعدد، وبالجملة فالصلاة على النبي أمرها عظيم، وفضلها جسيم، وهي من أفضل الطاعات، وأجل القربات، حتى قال بعض العارفين: إنها توصل إلى الله تعالى من غير شيخ، لأن الشيخ والسمد فيها صاحبها، لأن تعرض عليه، ويصلى على المصلي بخلاف غيرها من الأذكار، فلا بد فيها من الشيخ العارف، وإلا دخلها الشيطان، ولم ينتفع صاحبها بها.

﴿١٨٨﴾

{الْحَمْدُ للَّهِ – حمد تعالى نفسه بذلك والمراد به الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد وهو الوصف بالجميل لله تعالى – الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ}[سبأ/١]

قوله: (الثناء بمضمونه) أي انشاء الثناء بمضمونه، وهو الوصف بالجميل، وليس المراد انشاء المضمون، لأن اتصافه بالجميل أزلي ثابت له سبحانه وتعالى، وإنما تعبدنا الله تعالى، بتجديد حمد موافق للحمد الأزلي، وهذا يؤيد قول بعض العلماء: إن أل في الحمد عهدية، لأن الله لما علم عجز خلقه في كنهه، حمد نفسه بنفسه أزلاً، وأمرهم أن يحمدوه بحمد موافق لحمده، فتحصل أن الوصف بالجميل ثابت لله أزلاً، وإنشاء الثناء به حادث، فقول الله

تعالى {الْحَمْدُ للَّهِ} اللفظ والتلفظ حادثان دالان على معنى قديم، وهو اتصاف الله بالجميل.

❖ إن قلت: الحمد مدح، ومدح النفس مذموم بين الخلق، فما وجه ذلك؟

▪ أجيب: بأن أوصاف الرب لا تقاس على أوصاف العبيد، ألا ترى الاتصاف بالعظمة والكبرياء، فإنها نقص في الخلق، كمال في الخالق، وبهذا انهدم قول المعتزلة: إن كل ما حسنه العقل يوصف به الرب، وكل ما قبحه العقل ينزه عنه، وبنوا على ذلك أموراً فاسدة منها: وجوب الصلاح والأصلح، وغير ذلك.

﴿١٨٩﴾

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَلاَ أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} [سبأ/٣]

❖ إن قلت: أي حاجة إلى ذكر الأكبر بعد الأصغر، إذ هو مفهوم بالأولى؟

▪ أجيب: بأنه لرفع توهم أن اثبات الأصغر خوف توهم النسيان، وأما الأكبر فلا ينسى، فلا حاجة إلى إثباته، فأفاد أن كلاً مرسوم في اللوح المحفوظ لا لاحتياج.

﴿١٩٠﴾

{قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لاَّ تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلاَ تَسْتَقْدِمُونَ} [سبأ/٣٠]

قوله: {وَلاَ تَسْتَقْدِمُونَ} أي إن أردتم التقدم والاستعجال كما هو مطلوبكم.

❖ إن قلت: إن الجواب ليس مطابقاً للسؤال، لأن السؤال عن طلب تعيين

الوقت، والجواب يقتضي أنهم منكرون للوقت من أصله.

- وأجيب: بأن الجواب مطابق بالنظر لحالهم لا لسؤالهم، لأن سؤالهم وإن كان على صورة الاستفهام عن الوقت، إلا أن مرادهم الإنكار والتعنت، والجواب المطابق أن يكون بالتهديد على تعنتهم.

﴿١٩١﴾

{قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَآ أَنفَقْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ – يقال : كل إنسان يرزق عائلته أي من رزق الله– } [سبأ/٣٩]

- قوله: (يقال كل إنسان) إلخ، أي لغة، ودفع بذلك ما قيل: إن الرزاق في الحقيقة واحد وهو الله. فأجاب: بأن الجمع باعتبار الصورة، فالله خالق الرزق، والعبيد متسببون فيه.

- إن قلت: أي مشاركة بين المفضل والمفضل عليه؟

- أجيب: بأن الرزاق يطلق على الموصل للرزق والخالق له، والرب يوصف بالأمرين، والعبد يوصف بالإيصال فقط، فخيرية الله من حيث إنه خالق وموصل، فعلم أن العبد يقال له رازق بهذا، ولا يقال له رزاق، لأنه من الأسماء المختصة به تعالى.

﴿١٩٢﴾

{قَالُواْ سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ} [سبأ/٤١]

- قوله: {أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ}

❖ إن قلت: حيث أثبت أولاً أنهم كانوا يعبدون الجن، لزم منه أن جميعهم مؤمنون بهم، فكيف قال أكثرهم؟

▪ أجيب: بأن قول الملائكة أكثرهم من باب الاحتياط تحرزاً عن ادعاء الإحاطة بهم، كأنهم قالوا: إن الذين رأيناهم واطلعنا على أحوالهم كانوا يعبدون الجن، ولعل في الوجود من يطلع عليه من الكفار وأجيب أيضا: بأن العبادة عمل ظاهر، والإيمان عمل باطن، والظاهر عنوان الباطل غالباً، فقالوا: بل كانوا يعبدون الجن لاطلاعهم على أعمالهم، وقالوا أكثرهم بهم مؤمنون، لعدم اطلاعهم على ما في القلوب.

﴿١٩٣﴾

{قُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ} [سبأ/٤٩]

❖ إن قلت: إن السورة مكية، والكفر في ذلك الوقت، كان له شوكة قوية، والإسلام كان ضعيفاً، فكيف قال {قُلْ جَآءَ الْحَقُّ} إلخ؟

▪ أجيب بأنه لتحقق وقوعه نزله منزلة الواقع، فعبر عنه بالماضي كقوله: {أَتَى أَمْرُ اللَّهِ} [النحل: ١].

﴿١٩٤﴾

{الْحَمْدُ للَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [فاطر/١]

قوله: {وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ}

❖ إن قلت: في أي محل يكون الجناح الثالث لذي الثلاثة؟

▪ قلت: لعله يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بالقوة.

﴿١٩٥﴾

{وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ}[فاطر/١٨]

❖ إن قلت: ما الجمع بين هذه الآية، وبين قوله تعالى: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ} [العنكبوت: ١٣] الآية؟

▪ أجيب: بأن تلك الآية محمولة على من ضل، وتسبب في الضلال لغيره، فعليه وزر ضلالة، ووزر تسببه، لأن تسببه من فعله، فلم يحمل إلا أثقال نفسه، فرجع الأمر إلى أن الإنسان لا يحمل وزر غيره أصله، بل كل نفس بما كسبت رهينة.

﴿١٩٦﴾

{وَالَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ} [فاطر/٣٦]

قوله: {لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ} أي لا يحكم عليهم بالموت، وقوله: {فَيَمُوتُواْ} مسبب على قوله: {لاَ يُقْضَى} وهو منفي أيضاً، لأنه يلزم من انتفاء السبب انتفاء المسبب.

❖ إن قلت: إن في هذه الآية دليلاً على أن أهل النار لا يموتون، وفي آية أخرى {لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى} [طه: ٧٤] فيقتضي أن أهل النار حالة بين الحالتين، مع أنه لا واسطة.

▪ وأجيب: بأن المعنى لا يموتون فيستريحون من العذاب، ولا يحيون حياة طيبة.

﴿١٩٧﴾

{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ} [يس/١٢]

قوله: {وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ}.

❖ إن قلت: إن الكتابة متقدمة قبل الإحياء، إذ هي في الدنيا والإحياء يكون في الآخرة.

- أجيب بأنه قدم الإحياء اعتناء بشأنه، إذ لولاه لما ظهرت ثمرة الكتابة.

﴿١٩٨﴾

{وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ} [يس/٢٨]

قوله: {وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ} إلخ، هذا تحقير لهم وتصغير لشأنهم، والمعنى: لم يحتج في إهلاكهم إلى إرسال جنود من الملائكة، بل نهلكهم بصيحة واحدة مثلاً، وقوله: {وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ} أي لم يكن شأننا وعادتنا، ارسال جنود لإهلاك أحد من الأمم قبلهم، بل إذا أردنا إهلاكاً عاماً، يكون بغير الملائكة، كصيحة أو رجفة أو غير ذلك.

❖ إن قلت: إن الملائكة قد نزلت من السماء يوم بدر للقتال مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

- أجيب: بأن انزالهم تكرمة للنبي وأصحابه لا للإهلاك العام، وقيل: نزول الملائكة والاستنصار بهم من خصوصياته صلى الله عليه وسلم.

﴿١٩٩﴾

{أَلَمْ يَرَوْا كَمْ – معلقة ما قبلها عن العمل – أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ} [يس/٣١]

- قوله: (معلقة ما قبلها عن العمل).

❖ إن قلت: إن {كَمْ} الخبرية لا تعلق، وإنما التعلق للاستفهامية، قال ابن مالك:

وإن ولا لام ابتداء أو قسم...كذا والاستفهام ذا له انحتم

- أجيب: بأن الخبرية أجريت مجرى الاستفهامية في التعليق.

﴿٢٠٠﴾

{وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ}[يس/٦٩]

- قوله: {وَمَا يَنبَغِي لَهُ} أي لا يصح ولا يليق منه، لأن الشعر شأنه الأكاذيب، وهي عليه مستحيلة، ولذا قيل: أعذبه أكذبه، فتحصل أن النبي لا ينبغي له الشعر، ولا يليق منه.

❖ إن قلت: إنه تمثل بقول ابن رواحة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً...ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وأنشأ من نفسه قوله:

أنا النبي لا كذب...أنا ابن عبد المطلب

وقوله:

هل أنت إلا أصبع دميت...وفي سبيل الله ما لقيت

- قلت: أحسن ما أجيب به: أن أنشاده بيت ابن رواحة، وإنشاء البينين المقدمين، لم يكن عن قصد، وإنما وافق وزن الشعر، كما في بعض الآيات

القرآنية، فليس كل من قال قولاً موزوناً، لا يقصد به الشعر شاعراً، وإنما وافق وزن الشعر.

﴿٢٠١﴾

{إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ}[الصافات/٤]

قوله: {إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ}

❖ إن قلت: ما حكمة ذكر القسمة هنا، لأنه إن كان المقصود المؤمنين فلا حاجة له، لأنهم مصدقون ولو من غير قسم، وإن كان المقصود الكفار، فلا حاجة له أيضاً، لأنهم غير مصدقين على كل حال؟

- أجيب: بأن المقصود منه، تأكيد الأدلة التي تقدم تفصيلها في سورة يس، ليزداد الذين آمنوا إيماناً، ويزداد الكافر طرداً وبعداً.

﴿٢٠٢﴾

{إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ}[الصافات/١٠]

قوله: {فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ}

❖ إن قلت: تقدم أن الكواكب ثابتة في السماء أو في العرش زينة، ومقتضى كونها رجوماً للشياطين، أنها تنفصل وتزول، فكيف الجمع بين ذلك؟

- أجيب: بأنه ليس المراد أن الشياطين يرجمون بذات الكواكب، بل تنفصل منها شهب تنزل على الشياطين، والكواكب باقية بحالها.

❖ إن قلت: إن الشياطين خلقوا من النار، فكيف يحترقون؟

- أجيب: بأن الأقوى يحرق الأضعف، كالحديد يقطع بعضه بعضاً.

❖ إن قلت: إذا كان الشيطان يعلم أنه لا يصل لمقصوده بل يصاب، فكيف يعود

مرة أخرى؟

- أجيب: بأنه يرجو وصوله لمقصوده وسلامته، كراكب البحر، فإنه يشاهد الغرق، المرة بعد المرة، ويعود طمعاً في السلامة.

﴿٢٠٣﴾

{أَوَ آبَآؤُنَا الأَوَّلُونَ – بسكون الواو عطفا بأو وبفتحها والهمزة للإستفهام والعطف بالواو والمعطوف عليه محل إن واسمها أو الضمير في لمبعوثون والفاصل همزة الإستفهام –}[الصافات/١٧]

قوله: (أو الضمير في لمبعوثون) أي على القراءة الثانية، فيكون مبعوثون عاملاً فيه أيضاً

❖ إن قلت: إن ما بعد همزة الاستفهام، لا يعمل فيه ما قبلها، فكان الأولى أن يجعل مبتدأ خبره محذوف تقديره أو آباءنا يبعثون.

- أجيب: بأنها مؤكدة للأولى، لا مقصودة بالاستقبال، فالعبرة بتقديم المؤكد لا المؤكد.

﴿٢٠٤﴾

{فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ} * {مَا لَكُمْ لاَ تَنطِقُونَ} * {فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ}[الصافات/٩١-٩٣]

قوله: {فَقَالَ} (استهزاء بهم)

❖ إن قلت: أي فائدة في خطاب ما لا يعقل؟

- أجيب: بأنه لعل عنده من يسمع كلامه من خدمتها أو غيرهم.

﴿٢٠٥﴾

{خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُمْ مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ} [الزمر/٦]

قوله: {ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا}

❖ إن قلت: إن {ثُمَّ} للترتيب، فيقتضي أن خلق الذرية قبل خلق حواء، هو خلاف المعروف المشاهد.

- وأجيب بثلاثة أجوبة، الأول: أن {ثُمَّ} لمجرد الإخبار، لا لترتيب الإيجاد. الثاني: أن المعطوف متعلق بمعنى واحدة، و {ثُمَّ} عاطفة عليه، كأنه قال: خلقكم من نفس كانت متوحدة لم يخلق نظيرها، ثم شفعت بزوج. الثالث: أن معنى {خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ} أخرجكم منها يوم أخذ الميثاق في دفعة واحدة، لأن الله تعالى خلق آدم، وأودع في صلبه أولاده كالذر، ثم أخرجهم وأخذ عليهم الميثاق، ثم ردهم إلى ظهره، ثم خلق منهم حواء.

﴿٢٠٦﴾

{قُلْ ياعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} [الزمر/٥٣]

قوله: {لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ}

❖ إن قلت: إن في هذا إغراء بالمعاصي، واتكالاً على غفرانه تعالى، وهو لا يليق.

- اجيب: بأن المقصود تنبيه العاصي على إنه ينبغي له أن يقدم على التوبة، ولا يقنط من رحمة الله، وليس ذلك إغراء بالمعاصي، بل هو تطمين للعصاة، وترغيب لهم في الإقبال على ربهم.

﴿٢٠٧﴾

{أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } {بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ}[الزمر/٥٨,٥٩]

❖ إن قلت: إن {بَلَى} يجاب بها النفي ولا نفي في الآية

▪ أجيب: بأن الآية متضمنة للنفي، لأن معنى قوله: {لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي} لم يهدني.

﴿٢٠٨﴾

{وَلَقَدْ أُوْحِيَ إِلَيْكَ– يا محمد فرضا – وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}[الزمر/٦٥]

قوله: (فرضاً) أي على سبيل التقدير وفرض المحال، وهو جواب عن سؤال مقدر: كيف يقع الشرك من الأنبياء مع عصمتهم؟ وقيل: المقصود بالخطاب أممهم لعصمتهم من ذلك

❖ إن قلت: كان مقتصى الظاهر لئن أشركتم، فما وجه إفراد الخطاب؟

▪ أجيب: بأن المعنى أوحي إلى كل واحد منهم لئن أشركت الخ، كما يقال: كسانا الأمير حلة، أي كسا كل واحد منا حلة.

﴿٢٠٩﴾

{وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الزمر/٦٧]

قوله: {وَمَا قَدَرُواْ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}

❖ إن قلت: إن مفهوم الآية يقتضي أن المؤمنين يعرفون الله حق معرفته، ومقتضى

قوله صلى الله عليه وسلم: " سبحانك ما عرفناك حق معرفتك " وقوله: " سبحان من لا يعلم قدره غيره، ولا يبلغ الواصفون صفته، إنه لا يعلم الله إلا الله " فكيف الجمع بينهما؟

- أجيب: بأن الآية محمولة على المعرفة المأمور بها المكلف بتحصيلها، ولا شك أن المؤمنين عرفوه حق معرفته التي فرضت عليهم، وهي تنزيهه عن النقائص، ووصفه بالكمالات، والحديث محمول على المعرفة التي لم تفرض على العباد، وهي معرفة الحقيقة والكنه فتدبر، فتحصل أن العجز عن الإدراك إدراك، والبحث عن الذات أشراك، ولم يكلفنا الله إلا لأن ننزهه عما سواه سبحانه وتعالى.

﴿٢١٠﴾

{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر/٦٠]

- قوله: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} الدعاء في الأصل، السؤال والتضرع إلى الله تعالى في الحوائج الدنيوية والأخروية والجليلة والحقيرة، ومنه ما ورد: ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها، حتى في شسع نعله إذا انقطع، وقوله: {أَسْتَجِبْ لَكُمْ} أي أجبكم فيما طلبتم، لما ورد: إذ قال العبد: يا رب، قال الله. لبيك يا عبدي.

❖ إن قلت: قوله: {أَسْتَجِبْ لَكُمْ} وعد بالإجابة، ووعده لا يتخلف، مع أنه مشاهد أن الإنسان قد يدعو ولا يستجاب له.

- أجيب: بأن الدعاء له شروط، فإذا تخلف بعضها تخلفت الإجابة، منها: إقبال

العبد بكليته على الله وقت الدعاء، بحيث لا يحصل في قلبه غير ربه، وأن لا يكون لمفاسد، وأن لا يكون فيه قطيعة رحم، وأن لا يستعجل الإجابة، وأن يكون موقناً بها، فإذا كان الدعاء بهذه الشروط، كان حقيقاً بالإجابة، فإما أن يجعلها له، وإما أن يؤخرها له، فالإجابة على مراده تعالى، وحينئذ فالذي ينبغي للإنسان أن يدعو الله تعالى، ويفوض له الأمر في الإجابة، ولذا ورد: " ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء إلا استجيب له، فإما أن يعجل له في الدنيا، وإما أن يؤخر له في الآخرة، وإما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، أو يستعجل، قالوا: يا رسول الله وكيف يستعجل؟ قال: يقول: دعوت فما استجاب لي " والدعاء من خصائص هذه الأمة، لما حكي عن كعب الأحبار قال: أعطيت هذه الآمة ثلاثاً، لم يعطهن أمة قبلهم إلا نبي، كان إذا أرسل نبي، قيل: له: أنت شاهد على أمتك، وقال تعالى لهذه الأمة {لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة: ١٤٣] وكان يقال للنبي: ليس عليك في الدين من حرج، وقال تعالى لهذه الأمة {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج: ٧٨] وكان يقال للنبي: ادعني أستجب لك، وقال لهذه الأمة {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} وقد يطلق الدعاء على مطلق العبادة مجازاً، من اطلاق الخاص وأراده العام، وهما تفسيران للدعاء والفقر والمسكنة، والدعاء مشعر بذلك.

﴿٢١١﴾

{فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ – الخميس والجمعة فرغ منها في آخر ساعة منه وفيها خلق آدم ولذلك لم يقل هنا سواء ووافق ما هنا آيات خلق السماوات والأرض

في ستة أيام – وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [فصلت/١٢]

- قوله: (ووافق ما هنا) إلخ، أي بتقدير المضاف السابق، والمشهور أن الأيام الستة بقدر أيام الدنيا؛ وقيل: كل يوم منها بقدر ألف سنة من أيام الدنيا، فتكون الستة أيام، بقدر الستة آلاف سنة.

- إن قلت: إن اليوم عبارة عن الليل والنهار، وذلك يحصل بطلوع الشمس وغروبها، وقبل خلق السماوات لا يعقل حصول اليوم، فضلاً عن تسميته بالأحد ونحوه.

- أجيب: بأن الله تعالى، قدر مقداراً خلق فيه الأرض وسماه الأحد والاثنين، ومقداراً خلق فيه الأقوات وسماه الثلاثاء والأربعاء، وهكذا، فالتسمية للمقادير التي خلقت فيها تلك الأشياء.

- بقي شيء آخر وهو: أن ما هنا يقتضي أن الأرض خلقت قبل السماوات، فيخالف آية النازعات المفيدة أن الأرض خلقت بعد السماوات، قال تعالى: {ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَآءُ بَنَاهَا}[النازعات: ٢٧] إلى أن قال: {وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}[النازعات: ٣٠].

- وأجيب: بأن الله تعالى خلق الأرض أولاً في يومين كروية، ثم خلق بعدها السماء، ثم بعد خلق السماء دحا الأرض وبسطها، فخلق الجميع في ستة أيام، والدحى بعد ذلك، فلا تناقض، واستشكل ذلك الرازي وأجاب عنه بما لا طائل تحته.

﴿٢١٢﴾

{فَإِن يَصْبِرُواْ فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ} [فصلت/٢٤]

قوله: {فَإِن يَصْبِرُواْ فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ}

❖ إن قلت: إن النار مأوى لهم صبروا أولاً، فما وجه التقييد بالصبر؟

▪ وأجيب: بأن في الآية حذفاً، والتقدير: فإن يصبروا أو لا يصبروا، فالنار مثوى لهم، وإنما حذف المقابل للعلم به، لأنه إذا كانت لهم النار مع الصبر، فهي لهم مع عدمه بالأولى، بخلاف الدنيا، فإن الإنسان مع الصبر، ربما تخفف مصيبته أو يعوض خيراً ومع عدمه يزاد فيها ويغضب الله عليه.

﴿٢١٣﴾

{مَّنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّمٍ لِّلْعَبِيدِ – أي بذي ظلم لقوله تعالى { إن الله لا يظلم مثقال ذرة }–} [فصلت/٤٦]

قوله: (أي بذي ظلم) جواب عما.

❖ يقال: إن الآية لم تنف أصل الظلم.

▪ فأجيب: بأن ظلام صيغة نسبة لا مبالغة، والمعنى ليس بمنسوب للظلم كتمار وخباز، أي منسوب للتمر والخبز

❖ إن قلت: إن الظلم مستحيل على الله تعالى، لأن التصرف في ملك الغير، ولا ملك لأحد معه، فكيف يتصور إثباته حتى يحتاج لنفيه؟

▪ أجيب: بأن المراد الظلم المنفي في الآية تعذيب المطيع لا حقيقة الظلم، وإنما سماه ظلماً تفضلاً منه وإحساناً، كأن الله تعالى يقول: لا أدخل أحداً النار من غير ذنب، فإن فعلت ذلك كنت ظالماً وهو مستحيل، على حد

{كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الأنعام: ٥٤] فتدبر.

﴿٢١٤﴾

{إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآئِي قَالُواْ آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ} [فصلت/٤٧]

- قوله: {إِلاَّ بِعِلْمِهِ} استثناء مفرع من عموم الأحوال، والتقدير: وما يحدث شيء، من خروج ثمرة، أو حمل حامل أو وضعها، إلا ملتبساً بعلمه، فقد حذف من الأولين، لدلالة الثالث عليه.
- إن قلت: قد يعلم ذلك بعض الخلق من أصحاب الكشف، وبعض الكهنة والمنجمين.
- أجيب: بأن صاحب الكشف عليه بإلهام من الله تعالى لبعض جزئيات فقط، وأما الكهنى والمنجمون، فعلمهم مستند لأمور ظنية قد تصيب، والغالب عليها الخطأ.

﴿٢١٥﴾

{أَمِ اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [الشورى/٩]

- قوله: {فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ} أي المعبود بحق المتولي أمور الخلق، والجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر فلا معبود بحق الله تعالى
- إن قلت: مقتضى الحصر هنا أن لفظ الولي لا يتصف به المخلوق، ومقتضى آية {أَلا إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [يونس: ٦٢] أنه

يتصف به المخلوق، فكيف الجمع بينهما؟

- أجيب: بأن معنى الولي هنا المعبود بحق، وذلك لا يتصف به غيره تعالى، وأما الولي في تلك الآية، فمعناه المنهمك في طاعة الله تعالى، المتولي الله أموره، وتقدم ذلك.

﴿٢١٦﴾

{وَمَا تَفَرَّقُواْ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ – بتأخير الجزاء – إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بِيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُواْ الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ} [الشورى/١٤]

قوله: (بتأخير الجزاء) أي إلى يوم القيامة، وأما الدنيا فليست دار جزاء لشقي ولا سعيد.

❖ إن قلت: إن كفار الأمم الماضية، قد نزل بهم أنواع العذاب كالصيحة والخسف والمسخ وغير ذلك.

- أجيب: بأنه ليس بجزاء، بل هو علامة الجزاء والخزي.

﴿٢١٧﴾

{ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ} [الشورى/٢٣]

قوله: {إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} اختلف المفسرون في معنى هذه الآية على ثلاثة أقوال، الأول عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان وسط النسب من قريش، ليس بطن من بطونهم إلا وقد ولده، وكان له فيهم قرابة،

فقال الله عز وجل: {قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} أي ما بيني وبينكم من القرابة، والمعنى: إن لم تتبعوني، فاحفظوا حق القربى، وصلوا رحمي، ولا تؤذوني، يعد عليكم نفعها، لما في الحديث: " الرحم معلقة بالعرش تقول: اللهم صل من وصلني، واقطع من قطعني " فثمرته عائدة عليهم لا على النبي صلى الله عليه وسلم. الثاني عنه أيضاً: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة، لم يكن في يده سعة فقالت الأنصار: إن هذا الرجل هداكم، وهو ابن أختكم، وأجاركم في بلدكم، فلجمعوا له طائفة من أموالكم، ففعلوا ثم أتوه بها فردها عليهم، ونزلت الآية، وحينئذ فالخطاب للأنصار. الثالث عن الحسن: أن معناه إلا أن تجعلوا محبتكم ومودتكم محصورة في التقرب إلى الله بطاعته وخدمته لا لغرض دنيوي، فالقربى على الأول القرابة بمعنى الرحم، وعلى الثاني بمعنى الأقارب، على الثالث بمعنى القرب والتقرب، واعلم أن طلب الأجر على التبليغ لا يجوز لوجوده، الأول: تبري الأنبياء جميعاً منه. الثاني: أن التبليغ واجب، وطلب الأجرة على أداء الواجب لا يليق بأفراد الأمة فضلاً عن الأنبياء. الثالث: أن النبوة أمر عظيم، والدنيا وإن عظمت حقيرة، لا تزن جناح بعوضة، ولا يليق طلب الخسيس في دفع الشريف، وغير ذلك

❖ إن قلت: حيث كان الأمر كذلك، فما معنى الاستثناء في الآية؟

- أجيب بجوابين، الأول: أن هذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم، على حد قول الشاعر:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم...بهن فلول من قراع الكتائب

فالمعنى: لا أطلب إلا هذا، وهو في الحقيقة ليس بأجر، لأن المودة بين

المسلمين واجبة، خصوصاً في حق أشرافهم، وحينئذ فيكون الاستثناء متصلاً بالنظر للظاهر.

الثاني: أن الاستثناء منقطع كما قال المفسر، وحينئذ فالكلام تم عند قوله: {قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً} ثم قال: {إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} أي أذكركم قرابتي، والمراد بقرابته قيل: فاطمة وعلي وابناهما، وقيل: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، لما " روي عن زيد بن أرقم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " إني تارك فيكم ثقلين: كتاب الله، وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي " قيل لزيد بن أرقم: فمن أهل بيته؟ فقال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، وقيل: هم الذين تحرم عليهم الزكاة، وقيل: غير ذلك، " فتحصل أن الخطاب على القول الأول لقريش، وعلى الثاني للأنصار، والعبرة بعموم اللفظ، لأن رحم النبي، رحم لكل مؤمن، لقوله تعالى: {النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ} [الأحزاب: ٦] فمحبة أهل البيت، فيها السعادة والسيادة، دنيا وأخرى، والمرء يحشر مع من أحب، وقوله: {فِي الْقُرْبَى} الظرفية مجازية. والمعنى: إلا المودة العظيمة المحصورة في القربى، وإنما لم يعدها باللام لئلا يتوهم زيادة اللام، فيكون الكلام خالياً من البلاغة، فالتعبير بفي للمبالغة، إشارة إلى أنهم جعلوا محلاً للمودة، وهم لها أهل.

﴿٢١٨﴾

{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الشورى/٥٢]

قوله: {وَلاَ الإِيمَانُ}

❖ إن قلت: إن الأنبياء لم تحجب أرواحهم بدخولها في الأشباح، عن التوحيد الأصلي الكائن في يوم ألست بربكم، بل بعض الأولياء كذلك، فكيف يقال في حق نبينا عليه الصلاة والسلام {وَلاَ الإِيمَانُ} مع أنه كان يتعبد قبل البعثة، وحاشاة أن يعبد الله مع جهله بمعبوده؟

▪ أجاب المفسر: بأن الكلام على حذف مضاف، أي شرائع الإيمان ومعالمه، كالصلاة والصوم والزكاة والطلاق والغسل من الجنابة وتحريم المحارم بالقرابة والصهر، والمراد بالإيمان الإسلام.

﴿٢١٨﴾

{وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ – كالإبل – مَا تَرْكَبُونَ} [الزخرف/١٢]

قوله: (كالإبل)

❖ إن قلت: إنه لم يبق شيء من الأنعام يركب سوى الإبل، فالكاف استقصائية إلا أن يقال: المراد بالأنعام ما يركب من الحيوان، وهو الإبل والخيل والبغال والحمير، لأن المقام للامتنان بالركوب

﴿٢١٩﴾

{وَلَوْلاَ أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ} [الزخرف/٣٣]

❖ إن قلت: لن لم يوسع الدنيا على المسلمين، حيث يصير ذلك سبباً لاجتماع الناس على الإسلام

▪ فالجواب: لأن الناس حينئذ يجتمعون على الإسلام لطلب الدنيا، وهو إيمان

المنافقين، فما قدره الله تعالى خير، لأن كل من دخل الإيمان، فإنما يقصد رضا الله فقط.

﴿٢٢٠﴾

{وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ} [الزخرف/٣٩]

- قوله: و {إِذ} بدل من {الْيَوْمَ} أي بدل كل

- ❖ إن قلت: لن ينفعكم عامل في اليوم، وإذ مع أنه مستقبل، واليوم ظرف حالي، وإذ ظرف ماض، فكيف يعمل المستقبل في الحال والماضي؟

- أجيب: بأن عمله في الحال، من حيث إنه فريق من الاستقبال، وتقدم أن الماضي مؤول بالحال.

﴿٢٢١﴾

{وَقَالُواْ يَاأَيُّهَا السَّاحِرُ – أي العالم الكامل لأن السحر عندهم علم عظيم – ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ} [الزخرف/٤٩]

- قوله: (لأن السحر عندهم علم عظيم) أي فقصدوا بذلك تعظيمه لا نقصه.

- ❖ إن قلت: إن الله تعالى قال في سورة الأعراف حكاية عنهم {قَالُواْ يامُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ} [الأعراف: ١٣٤] إلخ، فهذا يقتضي أنهم نادوه باسمه، وذها صريح في أنهم نادوه بيا أيها الساحر، فكيف الجمع بينهما؟

- أجيب: بأن الخطاب تعدد، وإنما لم يلمهم على ذلك، رجاء أن يؤمنوا واستقصاراً لعقولهم.

﴿٢٢٢﴾

{لاَ يُفَتَّرُ – يخفف – عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ – ساكتون سكوت يأس –} [الزخرف/٧٥]

قوله: (سكوت يأس) أي من رحمة الله تعالى.

❖ إن قلت: إن مقتضى ما هنا أنهم يسكتون في النار، ومقتضى ما يأتي في قوله: {وَنَادَوْا يامَالِكُ} الآية، أنهم يستغيثون ويتكلمون، فحصل التنافي بين الموضعين.

- أجيب: بأنهم يسكتون تارة ويستغيثون أخرى. فأحوالهم مختلفة.

﴿٢٢٣﴾

{فَأَسْرِ بِعِبَادِي – بني إسرائيل – لَيْلاً إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ} [الدخان/٢٣]

قوله: (أي بني إسرائيل) فقد رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون

❖ إن قلت: كيف قال تعالى: {وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْماً آخَرِينَ} مع أنه تقدم أن أموالهم طمست ومسخت حجارة؟

- قلت: لعل الجواب أنها بعد غرقهم، أعيدت كما كانت، اكراماً لبني إسرائيل، فحين رجعوا وجدوها كما كانت قبل الطمس.

﴿٢٢٤﴾

{يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ – أي ما رق من الديباج – مُّتَقَابِلِينَ} [الدخان/٥٣]

قوله: (أي ما رق من الديباج) إلخ لف ونشر مرتب، والديباج هو الحرير

❖ إن قلت: كيف يكون لبس الغليظ من الحرير نعيماً من الجنة، مع أنه في الدنيا ربما كان غير نعيم؟

▪ أجيب: بأن غليظ حرير الجنة، ليس كغليظ حرير الدنيا، بل هو أعلى، على أن من غليظ حرير الدنيا ما يؤلف وينعم به كالقطيفة مثلاً.

﴿٢٢٥﴾

{وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لاَ رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنّاً وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ} [الجاثية/٣٢]

قوله: (إن نظن إلا ظناً)

❖ إن قلت: ما الجمع بين ما هنا وما تقدم في قوله: {إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا} [المؤمنون: ٣٧] فإن ما تقدم أثبت أنهم جازمون بعدم البعث، وهنا أفاد أنهم شاكون فيه

▪ ويمكن الجواب بأن الكفار لعلهم افترقوا فرقتين: فرقة جازمة بنفي البعث وفرقة متحيرة فيه.

﴿٢٢٦﴾

{مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَارٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ} [محمد/١٥]

قوله: {لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ} أي ليس فيه حموضة ولا مرارة، ولم تدنسها الأرجل بالدوس، ولا الأيدي بالعصر، وليس في شربها ذاهب عقل، بل هي لمجرد الالتذاذ.

❖ إن قلت: لما لم يقل في جانب اللبن لم يتغير طعمه للطاعمين، وفي العسل

مصفى للناظرين؟

- أجيب: بأن اللذة تختلف باختلاف الأشخاص، فرب طعام يلتذ به شخص ويعافه الآخر، فلذا قال {لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ} بأسرهم، ولأن الخمر كريهة الطعم في الدنيا فقال {لَّذَّةٍ} أي ليس في خمر الآخرة كراهة طعم، وأما الطعم واللون فلا يختلفان باختلاف الناس، فلم يكن للتصريح بالتعميم مزيد فائدة.

﴿٢٢٧﴾

{لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ – منه لترغب أمتك في الجهاد وهو مؤول لعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالدليل العقلي القاطع من الذنوب واللام للعلة الغائبة فمدخولها مسبب لا سبب – وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً} [الفتح/٢]

- قوله: (وهو مؤول) أي أن إسناد الذنب له صلى الله عليه وسلم مؤول، إما بأن المراد من ذنوب أمتك، أو هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين، أو بأن المراد بالغفران، الإحالة بينه وبين الذنوب، فلا تصدر منه، لأن الغفر هو الستر، والستر إما بين العيد والذنب، أو بين الذنب وعذابه، فاللائق بالأنبياء الأول، وبالأمم الثاني

- إن قلت: إن عصمة النبي عليه السلام من الذنوب، حاصلة بالفعل قبل النبوة وبعدها، فكيف تكون مرتبة على جهاده؟

- أجيب: بأن المرتب اظهارها للخلق لا هي نفسها.

﴿٢٢٨﴾

{قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ – قيل هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة وقيل فارس والروم – تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً} [الفتح/١٦]

- قوله: (وقيل فارس والروم) أي والداعي لهم عمر بن الخطاب، وقيل: إن ذلك في هوازن وغطفان يوم حنين، والداعي لهم رسول الله

❖ إن قلت: إن الله تعالى أمر رسوله أن لا يدعو المخلفين إلى الجهاد في قوله: {فَقُلْ لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوّاً}[التوبة: ٨٣] وحينئذ فيبعد أن ذلك في غزوة حنين، والداعي لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

▪ وأجيب: بأنه لا بعد، إذ قوله: {لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَداً} الخ، إنما نزلت بعد الفتح في غزوة تبوك، فتحصل أن الأقوال ثلاثة، وكل صحيح.

﴿٢٢٩﴾

{وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ – مكانا – غَيْرَ بَعِيدٍ} [ق/٣١]

- قوله: (مكاناً) قدره المفسر إشارة إلى أن قوله: {غَيْرَ بَعِيدٍ} صفة لموصوف محذوف، فهو منصوب على الظرفية لقيامة مقام الظرف، ولم يقل بعيدة، إما لأنه صفة لمذكر محذوف، أو لأن فعيلاً يستوي فيه المذكر والمؤنث، وأتى بهذه الجملة عقب قوله: {وَأُزْلِفَتِ} للتأكيد، كقولهم: هو قريب غير بعيد، وعزيز غير ذليل

❖ إن قلت: إن الجنة مكان، والشأن انتقال الشخص للمكان، لا انتقال المكان للشخص.

▪ أجيب: بأنه أضاف القرب لها إكراماً للمؤمنين، كأن الإكرام ينقل لهم، وهو

كناية عن سهولة وصولهم إليها.

﴿٢٣٠﴾

{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} * {مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ} [الذاريات/٥٦، ٥٧]

قوله: {وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ}

❖ إن قلت: إن هذا يغني عنه ما قبله.

- أجيب: بأنه أتى به لدفع توهم ما عليه سادات العبيد الأغنياء، من احتياجهم للاستعانة بهم في صنع الطعام مثلاً وتهيئته، ونحو ذلك، فكأنه قال: شأن ربنا ليس كشأن السادات مع عبيدهم، فليس محتاجاً لعبيده في تحصيل رزق ولا في صنعه، لا له، ولا لغيره، وهذا من تنزلات الحق سبحانه وتعالى لضعفاء العقول، وإلا فيستحيل على الله عقلاً تلك الأوصاف، ولا ينفي في نفس الأمر إلا ما جوزه العقل.

﴿٢٣١﴾

{أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً – بك ليهلكوك في دار الندوة – فَالَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ الْمَكِيدُونَ} [الطور/٤٢]

قوله: (في دار الندوة)

❖ إن قلت: السورة مكية، والاجتماع بدار الندوة كان ليلة الهجرة، فالتقييد بها مشكل

- فالأوضح حذف قوله في دار الندوة، لأن إرادة الكيد حاصلة منهم من يوم بعثته صلى الله عليه وسلم.

﴿٢٣٢﴾

{إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلاَئِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى} [النجم/٢٧]

قوله: {إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ} أي وهم مشركو العرب

❖ إن قلت: كيف يقال إنهم غير مؤمنين بالآخرة، مع أنهم يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله؟

- أجيب: بأنهم غير جازمين بالآخرة، بدليل قوله تعالى حكاية عنهم {وَمَآ أَظُنُّ السَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى} [فصلت: ٥٠] وإنما اتخذوهم شفعاء على سبيل الاحتمال. وأجيب أيضاً: بأنهم لا يؤمنون بالآخرة على الوجه الذي بينته الرسل.

﴿٢٣٣﴾

{فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} * {وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} * {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ} * {فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ} * {لاَّ – خبر بمعنى النهي – يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ} * {تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} [الواقعة/٧٥-٨٠]

قوله: (خبر بمعنى النهي) أي فأطلق الخبر وأريد النهي، وإلا فلو أبقي على خبريته، للزم عليه الخلف في خبره تعالى، لأنه كثيراً ما يمس بدون طهارة، والخلف في خبره تعالى محال، وما مشى عليه المفسر أحد وجهين، والآخر أن لا ناهية، والفعل مجزوم بسكون مقدر على آخره، منع ظهوره اشتغال المحل بحركة الإدغام، وإنما حرك بالضم اتباعاً لحركة الهاء.

❖ إن قلت: إنه يلزم على هذا الوجه الفصل بين الصفات بجملة أجنبية، فإن قوله: {تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} صفة رابعة لقرآن.

- وأجيب: بأنه لا يتعين أن يكون صفة لجواز جعله خبر لمبتدأ محذوف أي وهو تنزيل.

﴿٢٣٤﴾

{سَبَّحَ للَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الحديد/١]

قوله: {سَبَّحَ للَّهِ} عبر هنا وفي الحشر والصف بالماضي، وفي الجمعة والتغابن بالمضارع، وفي الأعلى بالأمر، وفي الإسراء بالمصدر، إشعاراً بأن التسبيح مطلوب من الإنسان في كل حال، وصدر بالمصدر تنبيهاً على أن تنزيهه تعالى مطلق، لا يتقيد بزمان ولا مكان ولا بفاعل معين، كما أن المصدر مطلق عن الفاعل والزمان ثم بالماضي لتقدم زمنه، ثم بالمضارع لشموله للحال والاستقبال، ثم بالأمر لتأكيد الحث على طلبه من الشخص، فكأنه قال: حيث علمت أيها الشخص، أن ربك منزه تنزيهاً مطلقاً، وسبحه من تقدم من المخلوقات، واستمروا على تسبيحه، فعليك بالاشتغال به، والتسبيح تنزيه المولى عن كل ما لا يليق به قولاً وفعلاً واعتقاداً من سبح في الأرض والماء ذهب وأبعد فيهما

❖ إن قلت: إن {سَبَّحَ} متعد بنفسه، فما وجه الإتيان باللام له؟

- أجيب: بأن اللام زائدة للتأكيد، كما في نصحت له وشكرت له، وعليه اقتصر المفسر، أو التعليل، والمعنى: فعل التسبيح لأجل رضا الله تعالى وخالصاً لوجهه، لا لغرض آخر.

﴿٢٣٥﴾

{ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَآمِنُواْ بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [الحديد/٢٨]

قوله: {ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ} الخ، لما قدم أن أمة عيسى بعد رفعه إلى السماء افترقوا، فمنهم من تمسك بالرهبانية الصحيحة وداموا عليها، إلى أن ظهر

محمد صلى الله عليه وسلم، ومنه ممن غير وبدل، شرع يبين المطلوب منهم بعد ظهوره صلى الله عليه وسلم، قوله: {آمَنُو} (بعيسى) هذا أحد قولين للمفسر؛ ويشهد له سياق الكلام، والثاني: أن الخطاب عام لكل من آمن بالرسل المتقدمين، فيشمل المؤمنين بعيسى وبمن قبله من الرسل

❖ إن قلت إن هذا ظاهر فيمن كانت ملتهم صحيحة، فنسخت بملة محمد صلى الله عليه وسلم، أما فيمن نسخت ملته بملة عيسى كاليهود؛ فلا تظهر إثابتهم على التمسك بها.

▪ أجيب: بأن إثباتهم على تلك الملة المنسوخة. من خصائص دخولهم في ملة الإسلام. ولذا كان الإسلام يصحح أنكحتهم الفاسدة.

﴿٢٣٦﴾

{وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يابَنِي إِسْرَائِيلَ – لم يقل : يا قوم لأنه لم يكن له فيهم قرابة – إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُواْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ} [الصف/٦]

قوله: (لأنه لم يكن له فيهم قرابة) أي لأنه لا أب له فيهم، وإن كانت أمه من أشرافهم.

❖ إن قلت: هو منهم باعتبار أمه

▪ قلت: النسب إنما هو من جهة الأب.

﴿٢٣٧﴾

{خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ – إذ جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال – وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [التغابن/٣]

قوله: (إذ جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال) أي فجعل رأسه لأعلى، ورجليه لأسفل، وذراعيه في جنبيه، وجعله منتصب القامة.

❖ إن قلت: قد يوجد كثير من الناس مشوه الخلق.

- أجيب: بأن التشويه بالنسبة لأبناء جنسه، لا بالنسبة لصور البهائم مثلاً، إذ لو قابلت بين الصورة المشوهة، وبين صورة الغزال، لرأت صورة البشر المشوهة أحسن.

﴿٢٣٨﴾

{إِن تَتُوبَآ إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} [التحريم/٤]

❖ إن قلت: إن نصرة الله هي الكفاية العظمى، وما الحكمة في ضم ما بعدها إليها؟

- قلت: تطييباً لقلوب المؤمنين، وتوقيراً لجانب الرسول.

﴿٢٣٩﴾

{عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً} [التحريم/٥]

قوله: (والجملة جواب الشرط) أي جملة عسى واسمها وخبرها.

❖ إن قلت: إن هذه الجملة فعلها جامد، والجملة إذا كانت كذلك، ووقعت جواب شرط، وجب اقترانها بالفاء، فالمناسب أن تجعل دليل جواب محذوف. قوله: (ولم يقع التبديل) جواب عما يقال: إن الترجي في كلام الله

للتحقيق مع أنه لم يحصل هنا،

- فأجاب: بأنه معلق على شرط وهو التطليق للكل ولم يطلقهن، وأجيب: بأن {عَسَى} هنا للتخويف.

﴿٢٤٠﴾

{ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ تُوبُواْ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لاَ يُخْزِى اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا – إلى الجنة والمنافقون يطفأ نورهم– وَاغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التحريم/٨]

- قوله: (والمنافقون يطفأ نورهم) عطب سبب، أي أن سبب قول المؤمنين ما ذكر، أنهم يرون المنافقين يتقد لهم نور في نظير إقرارهم بكلمة التوحيد، فإذا مشوا طفئ، فيمشون في ظلمة فيقعون في النار، فإذا رأى المؤمنون هذه الحالة، سألوا الله دوامه حتى يوصلهم إلى الجنة، والجنة لا ظلام فيها.

- إن قلت: كيف يخافون من طفء نورهم مع أنهم آمنون، لا يحزنهم الفزع الأكبر؟

- أجيب: بأن دعاءهم ليس من خوف ذلك، بل تلذذاً وطلباً لما هو حاصل لهم من الرحمة.

﴿٢٤١﴾

{وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً – مصباحا مضيئا وهو أقوى من نور القمر –} [نوح/١٦]

- قوله: (وهو أقوى من نور القمر)

❖ إن قلت: إن القمر أقوى من المصباح بالمشاهدة لعمومه المشارق والمغارب وانتشاره.

- أجيب: بأن الضمير عائد على الضوء المفهوم من (مضيئاً) أو يقال: إن المصباح في محل انتشاره أقوى من القمر، وإن كان أوسع امتداداً منه، لأن الإنسان يمكنه قراءة الخط في المصباح دون القمر، فلا يقرؤه إلا القليل من الناس.

﴿٢٤٢﴾

{وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَباً} [الجن/١٥]

- قوله: {فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَباً}

❖ إن قلت: الجن مخلوقون من النار، فكيف يعذبون بها؟

- أجيب: بأنهم وإن خلقوا منها، لكن هم ضعاف، والنار قوية، وقوي النار يأكل ضعيفها.

﴿٢٤٣﴾

{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى – اقل – مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُمْ مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ – وكل من الفرق الثلاثة يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل فخفف عنهم بقيام ما تيسر منه ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس – فَاقْرَءُواْ مَا

تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُواْ الصَّلَاةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُواْ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً وَمَا تُقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْراً وَأَعْظَمَ أَجْراً وَاسْتَغْفِرُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [المزمل/٢٠]

قوله: (أقل) {مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ} الخ

❖ إن قلت: إن الأقلية باعتبار الثلثين والنصف والثلث ظاهرة، ولا تظهر بالنسبة للثلث، لأنهم غير مأمورين بالنقص عنه، بل هم مخيرون كما تقدم بين قيام الثلثين والنصف، وهذا على قراءة الجر

▪ وقد يجاب: بأن معنى قوله: {أَدْنَى} التقريب، أي يعلم أنك تقوم كما أمرك أقرب من ثلثي الليل الخ، وعبر بالأدنى لأنها أمور ظنية تخمينية لا تحقيقية، وهم مكلفون بالظن، لا التحقيق والتحرير بالدقيقة. قوله: (ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس) أي في حق الأمة اتفاقاً، وأما هو صلى الله عليه وسلم فقال مالك: لم ينسخ في حقه صلى الله عليه وسلم، بل بقي وجوب التهجد عليه، لكن في خصوص الحضر، وقال الشافعي: نسخ في حقه أيضاً.

❖ إن قلت: إن وجوب الصلوات الخمس، لا ينافي وجوب قيام الليل، وشرط الناسخ أن يكون حكمه منافياً للحكم المنسوخ

▪ فالحق أن النسخ بالحديث، وهو " أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أعرابياً بأن الله افترض عليه خمس صلوات في كل يوم وليلة، فقال الأعرابي: هل علي غيرها يا رسول الله؟ قال صلى الله عليه وسلم: " لا، إلا أن تطوع " فقوله لا، نفي وجوب أي صلاة كانت غير الخمس.

قوله: (مما خلفتم) أي وراءكم.

❖ إن قلت: إن الذي خلفه وراءه ميراث لغيره، فلا خبر فيه له

- فالأحسن أن يقول: مما أنفقتم على أنفسكم في العاجل.

قوله: (وهو فصل) اي ضمير فصل.

قوله: (وما بعده) الخ

❖ أشار بذلك لسؤال حاصله: أن ضمير الفصل لا يقع إلا بين معرفتين، وهنا وقع بين معرفة ونكرة

- فأجاب بقوله: (يشبهها) وقوله: (لامتناعه من التعريف) أي لأنه اسم تفضيل، وهو لا يجوز دخول أل عليه، إذا كان معه من لفظاً أو تقديراً، وهنا من مقدرة كأنه قال هو معرفة لولا المانع، وهو كونه مقروناً بمن. قوله: {وَاسْتَغْفِرُواْ اللَّهَ} أي اطلبوا مغرفته في جميع أحوالكم، فإن الإنسان لا يخلو من تفريط يوجب حجبه عن بركات الدنيا والآخرة، ولا يزيل ذلك الحجاب إلا الاستغفار، كما قال تعالى: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ} [نوح: ١٠] الآيات، وكما قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَآءِ وَالأَرْضِ} [الأعراف: ٩٦] وفي الحديث " إن العبد ليحرم الخير بالذنب يصيبه ".

﴿٢٤٤﴾

{وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ- فطلعا من المغرب أو ذهب ضوؤهما وذلك في يوم القيامة -} [القيامة/٩]

قوله: (وذلك يوم القيامة)

❖ إن قلت: إن طلوع الشمس والقمر من مغربهما، ليس في يوم القيامة، بل قبله بمائة وعشرين سنة

- أجيب: بأن المراد بيوم القيامة، ما يشمل وقت مقدماته من الأمور العظام.

﴿٢٤٥﴾

{هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ – أربعون سنة – لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً} [الإنسان/١]

قوله: (أربعون سنة) أي مرت عليه قبل أن تنفخ فيه الروح، وهو ملقى بين مكة والطائف، روي أن آدم خلق من طين، فأقام أربعين سنة، ثم من حمإ مسنون فأقام أربعين سنة، ثم من صلصال، فأقام أربعين سنة، ثم خلقه مائة وعشرين سنة، ثم نفخ فيه الروح، إذا علمت ذلك، فقول المفسر أربعون سنة، أي باعتبار كونه طيناً، وإلا فقد مر عليه مائة وعشرون سنة، لم يكن شيئاً مذكور.

❖ إن قلت: إن مقتضى الآية تسمى إنساناً في حال كونه طيناً، مع أنه في ذلك الوقت لم يكن شيئاً مذكوراً.

- أجيب: بأن التسمية باعتبار ما آل إليه نظير {إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً} [يوسف: ٣٦].

﴿٢٤٦﴾

{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً} [الإنسان/٣]

قوله: {كَافُوراً}

❖ إن قلت: إن الكافور غير لذيذ وشربه مضر، فما وجه مزج شرابهم به؟

- أجيب: بأن المراد أنه كالكافور في بياضه وطيب ريحه وبرودته.

﴿٢٤٧﴾

{إِنَّا كَذَلِكَ – كما جزينا المتقين – نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [المرسلات/٤٤]

قوله: (كما جزينا المتقين) أي بالظلال والعيون والفواكه نجزي المحسنين.

❖ إن قلت: لا مغايرة بين المتقين المحسنين، ففيه تشبيه الشيء بنفسه.

- والجواب: أن يراد بالمتقين الكاملون في الطاعة، وبالمحسنين من عندهم أصل الإيمان، ويصير المعنى: إن هذا الجزاء كما هو ثابت للكاملين في الطاعة، ثابت لمن كان عنده أصل الإيمان، فالمماثلة في الأوصاف التي ذكرت في تلك الآية، لا في المراتب والدرجات فتدبر.

﴿٢٤٨﴾

{أَن جَآءَهُ الأَعْمَى – عبدالله بن أم مكتوم فقطعه عما هو مشغول به ممن يرجو إسلامه من أشراف قريش الذين هم حريص على إسلامهم ولم يدر الأعمى أنه مشغول بذلك فناداه : علمني مما علمك الله فانصرف النبي صلى الله عليه و سلم إلى بيته فعوتب في ذلك بما نزل في هذه السورة فكان بعد ذلك يقول له إذا جاء : [مرحبا بمن عاتبني فيه ربي] ويبسط له رداءه –} [عبس/٢]

قوله: (فناداه) أي وكرر ذلك، قوله: (مما علمك الله) أي وهو القرآن والإسلام، وإيضاح ما قاله المفسر: أن الأعمى جاءه وعنده صناديد قريش: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب، وأمية بن خلف، والوليد بن المغيرة، يدعوهم إلى الإسلام، رجاء ان يسلم أولئك الأشراف الذين كان يخاطبهم، فيتأيد بهم الإسلام، ويسلم بإسلامهم أتباعهم، فتعلو كلمة الله تعالى، فقال: يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله تعالى، وكرر ذلك وهو لا يعلم، فتشاغل النبي صلى الله عليه وسلم بالقوم، فكره رسول الله قطعه لكلامه، وعبس وأعرض عنه، وقال في نفسه: يقول هؤلاء الصناديد، إنما اتبعه العميا والعبيد والسفلة، فعبس وجهه وأعرض عنه،

وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فأنزل الله هذه الآيات.

❖ إن قلت: إن ابن أم مكتوم أعطاه الله من السمع ما يغني عن البصر، فهو وإن لم ير القوم، لكنه لشدة سمعه، كان يسمع مخاطبة النبي معهم، وحينئذ فيكون اقدامه على قطع كلام رسول الله إيذاء له فيكون معصية، فكيف يعاتب عليه صلى الله عليه وسلم؟ وكيف يقول المفسر (ولم يدر الأعمى) الخ

▪ أجيب: أن عدم علمه، لعله من أجل دهشته بقدومه على رسول الله، ولا شك أن جلاله صلى الله عليه وسلم وجماله يدهش العقول، ولا سيما بالمحب المشتاق الراغب في التعليم، وعتابه صلى الله عليه وسلم بالنظر لما علمه الله من طردهم عن رحمته، لا بالنظر الظاهر شرعه، وإلا فهو صلى الله عليه وسلم لم يفعل مكروهاً، ولا خلاف الأولى، إذ الأهم مقدم على المهم، وإنما ذلك من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين.

﴿٢٤٩﴾

{عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ} [التكوير/١٤]

قوله: {عَلِمَتْ نَفْسٌ}

❖ إن قلت: إن النفس نكرة في سياق الإثبات وهي لا تعم.

▪ أجيب بجوابين، الأول: أن العموم استفيد من قرينة المقام والسياق، الثاني: أن وقوعها في سياق الشرط، كوقوعها في سياق النفي فتعم أيضاً، ومعنى العلم بما أحضرته، أنها تشاهد أعمالها مكتوبة في الصحف.

﴿٢٥٠﴾

{ياأَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ}[الإنفطار/٦]

قوله: {مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} {مَا} استفهامية، والمعنى: أي شيء خدعك وجرأك على عصيان الكريم، الذي من حقه عليك أن تمتثل أوامره وتجتنب نواهيه؟ ولا تغتر بحلمه وكرمه.

❖ إن قلت: كونه كريماً يقتضي أنه يغتر الإنسان بكرمه لأنه جواد، وهو يستوي عنده طاعة المطيع وعصيان المذنب، فهذا يقتضي الاغترار به، فكيف جعله هنا مانعاً منه؟

▪ أجيب: بأن الآية واردة لتهديد الكافر والعاصي، حيث أنعم عليه بتلك النعم، وكلفه بشكرها وأوعد من كفر بالعذاب الدائم، فلم يقم بشكرها، فتضمنت مخالفته استخفافه بالنعمة وبأوامر المنعم ونواهيه، فليس في الآية ما يقتضي الاغترار، كما تزعمه الحشوية حيث يقولون: إنما قال: {رَبِّكَ الْكَرِيمِ} دون سائر صفاته، ليلقن عبده الجواب حتى يقول: غرني كرم الكريم، ففي الحديث لما تلا هذه الآية قال: " غلاه جهله ". وقال عمر: غره حمقه وجهله. وقال الحسن: غره والله شيطانه الخبيث.

﴿٢٥١﴾

{يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ} [المطففين/٢٥]

قوله: {مَّخْتُومٍ} (على إنائها) أي لشرفها ونفاستها

❖ إن قلت: في سورة محمد صلى الله عليه وسلم {وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ} [محمد: ١٥] والنهر لا ختم فيه، فكيف طريق الجمع بين الآيتين؟

▪ أجيب: بأن هذه الأواني غير خمر الأنهار.

﴿٢٥٢﴾

{فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى} [الأعلى/٩]

قوله: {إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى}

❖ إن قلت: هو صلى الله عليه وسلم مأمور بأن يذكرهم، سواء نفعتهم الذكرى أو لم تنفعهم، ليكون حجة لهم أو عليهم

- أجيب: بأن في الآية اكتفاء، أي أو لم تنفع على حد سرابيل تقيكم الحر أي والبرد، ويؤيده قوله: {سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى} فتدبر.

﴿٢٥٣﴾

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ}[الغاشية/٢]

قوله: {يَوْمَئِذٍ} أي يوم إذ غشيت، فالتنوين عوض عن جملة.

❖ إن قلت: إنه لم يتقدمها جملة يصح أن يكون التنوين عوضاً عنها.

- أجيب: بأن تقدمها لفظ الغاشية، وهو في معنى الجملة، لأن أل موصولة باسم الفاعل، فكأنه قال التي غشيت، فالتنوين عوض عن هذه الجملة التي انحل لفظ الغاشية إليها.

﴿٢٥٤﴾

{لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ}[الغاشية/٦]

قوله: {لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ} قال أبو الدرداء والحسن: إن الله تعالى يرسل على أهل النار الجوع، حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بالضريع، وهو ذو غصة فيغصون به، فيذكرون أنهم كانوا يحيزون الغصص في الدنيا بالماء، فيستسقون فيعطشهم ألف سنة، ثم يسقون

من عين آنية، لا هنيئة ولا مريئة، فإذا أدنوه من وجوههم، سلخ جلود وجوههم وشواها، فإذا وصل بطونهم قطعها، فذلك قوله تعالى {وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوجُوهَ} [الكهف: ٢٩] وقوله تعالى: {وَسُقُواْ مَآءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ} [محمد: ١٥].

❖ **إن قلت: كيف حصر الطعام هنا في الضريع، مع أنه في الحاقة قال: {وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ} [الحاقة: ٣٦]؟**

- **أجيب أن العذاب ألوان، والمعذبون أنواع، فمنهم من يكون طعامه الزقوم، ومنهم من يكون طعامه الضريع، ومنهم ما يكون الغسلين، وهكذا. قوله: {لاَّ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ} كل منهما صفة لضريع، والمعنى: لا يحصل السمن لآكله، ولا يدفع عنه جوعاً.**

﴿٢٥٥﴾

{وَأَمَّآ إِذَا مَا ابْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ} [الفجر/١٦]

❖ **إن قلت: مقتضى المقابلة أن يقول: فأهانه وقدر عليه زرقه، كما قال: فأكرمه ونعمه.**

- **أجيب: بأن البسط إكرام من الله لعبده، وليس ضده إهانة، بل ترك للكرامة، فإذا أهدى لك إنسان هدية فقد أكرمك بها، وإذا لم يهد إليك فلم يحصل منه إكرام ولا إهانة، وأيضاً فيه إشارة إلى أن تقتير الرزق، لا يلزم منه أن يكون دليلاً على إهانة، بل قد يكون دليلاً على المحبة والتكريم، لما ورد: " أشدكم بلا: الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل " فقول العبد: ربي أهانني من قصورة وغفلته، وإلا فالمطلوب منه أن يرضى ويسلم.**

﴿٢٥٦﴾

{وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ – الميراث – أَكْلاً لَّمّاً– أي شديدا للمهم نصيب النساء والصبيان من الميراث مع نصيبهم منه أو مع مالهم –}[الفجر/١٩]

قوله: (للمهم نصيب النساء) الخ، أي فإنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان، ويأكلون أنصباءهم، أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام، عالمين بذلك

❖ إن قلت: إن السورة مكية، وآية المواريث مدنية، ولا يعلم الحل والحرمة إلا من الشرع

- أجيب: بأن حكم الإرث، كان معلوماً لهم من بقايا شريعة إسماعيل، فهو ثابت عندهم بطريق عادتهم.

﴿٢٥٧﴾

{ فلا – فهلا – اقتحم العقبة – جاوزها –} [البلد/١١]

قوله: (فهلا) أشار بذلك إلى أن لا بمعنى هلا للتحضيض وهو أحد احتمالين، والآخر أنها باقية على أصلها للنفي، أي لم يشكر على تلك النعم الجليلة بالأعمال الصالحة

❖ إن قلت: لم أفردت لا، مع أنها إذا دخلت على ماض تكرر كقوله تعالى: {فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى} [القيامة: ٣١]

- أجيب: بأنها مكررة في المعنى كأنه قال: فلا فك رقبة، ولا أطعم مسكيناً.

﴿٢٥٨﴾

{وَالضُّحَى} * {وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى} [الضحى/١، ٢]

قوله: {وَالضُّحَى} الخ، قدم {الضُّحَى} هنا على {اللَّيْلِ} وفي السورة التي قبلها قدم الليل، وذلك لأن في كل مزية تقتضي تقديمه، فقدم هذا تارة، والآخر أخرى، فالليل به السكون والهدوء، ومحل الخلوات والعطايا الربانية، والنهار به النور والسعي في المصالح واجتماع الناس، أو لأن السورة المتقدمة سورة أبي بكر، وهو قد سبق له الكفر، فقدم الليل، وهذه سورة محمد صلى الله عليه وسلم وهو محض نور، فقدم فيها {الضُّحَى}.

❖ إن قلت: ما الحكمة في ذكر {الضُّحَى} وهو ساعة، وذكر {اللَّيْلِ} بجملته؟

▪ أجيب: بأن ذلك إشارة إلى أن ساعة من النهار، توازي جميع الليل، كما أن محمدا يوازي جميع الخلق، وأيضا الضحى وقت سرور، والليل وقت وحشة، ففيه إشارة إلى أن سرور الدنيا أقل شرورها.

﴿٢٥٩﴾

{وَطُورِ سِينِينَ – الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى ومعنى سينين المبارك أو الحسن بالأشجار المثمرة –} [التين/٢]

قوله: (الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى) أي وهو جبل عظيم فيه عيون وأشجار.

❖ إن قلت: كيف ذلك مع قوله تعالى: {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً} [الأعراف: ١٤٣] المقتضى أنه دك ولم يبق له أثر؟

▪ أجيب: بأنه متسع، والذي دك قطعة منه، وتخصيصه لكونه مباركاً، تشرف بتكليم موسى ربه عليه.

﴿٢٦٠﴾

{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ – أي القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا – فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ} * {وَمَآ أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ} * {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ} [القدر/١-٣]

- قوله: {إِنَّا} يؤتى بإن لتأكيد الحكم، والرد على منكر أو شاك، والمخاطبون فيهم ذلك، فقد قالوا: من تلقاء نفسه، وقالوا: أساطير الأولين، وقالوا: تنزلت به الشياطين، فرد على جميع ذلك بذكر الإنزال، لا أنه مختلق، ولا من أساطير الأولين

- إن قلت: إن المؤمنين يصدقون خبر المولى بلا توكيد، والكافرون يعاندون ولو تعدد التأكيد.

- أجيب بجوابين، الأول: يمنع أن الكافرين يعاندون مع التأكيد، فإن عادتهم الانقياد للتأكيدات، فربما حصل لهم هداية بسبب ذلك. الثاني: على تسليم أنهم يعاندون من التأكيد، فلا نسلم حصر إن في التأكيد، بل قد يؤتى بها ترغيباً في تلقي الخبر، والتنبيه بعظيم قدره وشرف حكمه، ويحتمل أنها للمتلكم المعظم نفسه، وهو الله تعالى، إشعاراً بتعظيم المنزل والمنزل به، ويحتمل أنها للمتكلم ومعه غيره، فإن الله أنزله، والملائكة لهم مدخلية في انزاله، والمعنى: إنا وملائكة قدسنا أنزلناه على حد {إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ} [الأحزاب: ٥٦] والإسناد لله حقيقة إجماعاً، وللملائكة قيل كذلك، وقيل مجاوز عليه، فلا مانع من الجمع بين الحقيقة والمجاز يقال: بنى الأمير وعملته المدينة، ولا يعترض بالجمع بين القديم والحادث في ضمير واحد، فإنه حاصل في ضمير {يُصَلُّونَ}{أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} [التين: ٨]

ونحوه، وأما قوله عليه السلام للخطيب: بئس الخطيب لما قال: من يطع الله ورسوله فقد اهتدى، ومن بعصهما فقد غوى فأن الخطب محل إطناب، وقيل: وقف على قوله ومن يعصهما قبل الجواب.

قوله: {أَنزَلْنَاهُ}

❖ إن قلت الإنزال وصف للأجسام، والقرآن عرض لا جسم، فيكف يوصف بالإنزال؟

- أجيب بجوابين، الأول: أن الإنزال بمعنى الإيحاء، وفي الكلام استعارة تبعية، حيث شبه الإيحاء بالإنزال، واستعير الإيحاء للإنزال، واشتق من الإنزال أنزلناه بمعنى أوحينا. الثاني: إن إسناد النزول إليه مجاز عقلي، وحقه أن يسند لحامله، فالتجوز إما في الظرف أو الإسناد.

قوله: (أي القرآن) أشار بذلك إلى أن الضمير في {أَنزَلْنَاهُ} عائد على القرآن.

❖ إن قلت: إنه لم يتقدم له ذكر.

- أجيب: بأنه اتكل على عظم قدره وشهرة أمره، حتى لا يحتاج للتصريح.

قوله: (إلى سماء الدنيا) أي بيت العزة منها، وما ذكره المفسر، من أن المراد إنزال القرآن جملة إلى سماء الدنيا، أحد أقوال في تفسير الآية، وقيل: المعنى ابتدأنا إنزاله على محمد صلى الله عليه وسلم تلك الليلة.

❖ إن قلت: إن البعثة على رأس الأربعين وميلاده كان في ربيع، فيكف يكون مبدأ الوحي في رمضان ليلة القدر؟

- أجيب: بأنه ألغى الكسر أو جبر أو ذلك، بناء على أن ميلاده في رمضان؛ وقد قيل به، أو مبدأ الوحي المنام في ربيع، ومبدأ إنزال القرآن في رمضان، وحكمة إنزاله من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، ثم إنزاله منها مفرقاً ولم

ينزله مفرقاً من اللوح، أن سماء الدنيا مشتركة بين العالم العلوي والسفلي، فإنزاله إليها جملة فيها تعجيل لمسرته بنزول جميعه عليه، وإنزاله منها مفرقاً فيه تأنيس للقلوب، وترويج للنفوس، وتلطف به صلى الله عليه وسلم وبأمته، فلم يفته نزوله جملة ولا مفرقاً.

﴿٢٦١﴾

{ ليلة القدر خير من ألف شهر } [القدر/٣]

قوله: {خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ} أي وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر، واختلف في حكمة ذكر العدد، فقيل: المقصود الكثرة، وقيل: إنه ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني إسرائيل، حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله عز وجل ألف شهر، فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك، وتمنى ذلك لأمته فقال: يا رب جعلت أمتي أقصرر الأمم أعماراً وأقلها أعمالاً، فأعطاه الله ليلة القدر، فهي من خصائص هذه الأمة، وهي باقية على الصحيح، خلافاً لمن قال برفعها مستدلاً بحديث: " خرجت لأعلمكم بليلة القدر، فتلاحى فلان وفلان فرفعت "

ورد بأن الذي رفع تعيينها بدليل أن في آخر الحديث نفسه " وعسى أني كون خيراً لكم، فالتمسوها في العشر الأواخر " إذ رفعها بالمرة لا خير فيه، ولا يتأتى معه التماس.

- إن قلت: الرفع بسبب الملاحاة، يقتضي أنه من شؤم الملاحاة، فكيف يكون خيراً؟

- قلت: هو كالبلاء الحاصل بشؤم معصية بعض العصاة، فإذا تلقى بالرضا

والتسليم صار خيراً.

❖ إن قلت: فما هو الذي فات بشؤم الملاحاة؟ وما هو الخير الذي حصل؟

- قلت: الفائت معرفة عينها، حتى يحصل غاية الجد والاجتهاد في خصوصها، والخير الذي حصل، هو الحرص على التماسها حتى يحيي ليالي كثيرة، وفي الجمعة قالوا: أخفى الرب أموراً في أمور لحكم: ليلة القدر في الليالي لتحيا جميعها وساعة الإجابة في الجمعة ليدعى في جميعها، والصلاة الوسطى في الصلوات ليحافظ على الكل. والاسم الأعظم في أسمائه ليدعى بالجميع ورضاه في طاعته ليحرص العبد على جميع الطاعات وغضبه في معاصيه لينزجر عن الكل. والولي في المؤمنين ليحسن الظن بكل منهم. ومجيء الساعة في الأوقات للخوف منها دائماً. وأجل الإنسان عنه ليكون دائماً على أهبة. فعلى هذا يحصل ثوابها لمن قامها ولو لم يعلمها، نعم العالم بها أكمل، هذا هو الأظهر، واختلفت المذاهب فيها، فقال مالك: إنها دائرة في العام كله، والغالب كونها في رمضان، والغالب كونها في العشر الأواخر منه. وقال أبو حنيفة والشافعي: هي في رمضان لا تنتقل منه والغالب كونها في العشر الأواخر، واشتهر عن أبي بن كعب وابن عباس وكثير أنها ليلة السابع والعشرين، وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر التي أعز الله بها الدين، وأنزل الله ملائكته فيها مدداً للمسلمين، وأيده بعضهم بطريق الإشارة، بأن عدد كلمات السورة ثلاثون كأيام رمضان، واتفق أن كلمة هي تمام سعبة وعشرين، وطريق آخر في الإشارة، أن حروف ليلة القدر تسعة، وقد ذكرت في السورة ثلاث مرات، وثلاثة في تسعة بسبعة وعشرين، ونقل عن بعض أهل الكشف ضبطها بأول الشهر مع أيام الأسبوع، فعن أبي الحسن الشاذلي: إن

كان أوله الأحد فليله تسع وعشرين، أو الاثنين فإحدى وعشرين، أو ثلاثاء فسبع وعشرين، أو الأربعاء فتسع وعشرين، أو الخميس فخمس وعشرين، أو الجمعة فسبع عشرة، أو السبت فثلاث وعشرين. ومنها ما قاله بعضهم:

يا حب الاثنين والجمعة مواعيدك...واحد والأربعا طي لتبعيدك

بكالى السبت هيي يا خميس عيدك...كابد ثلاثاً ليالي القدر مع سيدك

فإذا كان أول الشهر الاثنين أو الجمعة تكون ليلة إحدى وعشرين ورمزه يا حب بالجمل، أو الأحد أو الأربعاء فتسع وعشرين ورمزه طي، أو السبت فثلاث وعشرين رمز بكالى، أو الخميس فخمس وعشرين ورمزه هيي، أو الثلاثاء فسبع وعشرين ورمزه كابد، والمشهور في ألسنة علماء الحديث أنا لغالب كونها في العشر الأواخر، وأنها في الأوتار، قال سيدي أحمد زروق وغيره: لا تفارق ليلة جمعة من أوتار آخر الشهر، ونحوه عن ابن العربي.

﴿٢٦٢﴾

{لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ} [البينة/١]

- قوله: {مِنْ} (للبيان) أي فالذين كفروا هم أهل الكتاب والمشركون
- إن قلت: إن أهل الكتاب لم يكونوا جميعاً كفاراً قبل النبي، بل بعضهم كان متمسكاً بنبيهم وكتابهم، والبعض كفار كمن غير وبدل
- ومقتضى المفسر أن جميعهم كفار وليس كذلك، فالأحسن جعل {مِنْ} للتبعيض، والواو في {وَالْمُشْرِكِينَ} للمعية، و {الْمُشْرِكِينَ} مفعول معه، والعامل فيه {يَكُنِ}.

﴿٢٦٣﴾

{فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ} * {وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ} [الزلزلة/٧، ٨]

قوله: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ} الخ، تفصيل للواو في قوله: {لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ} قال مقاتل: نزلت في رجلين: أحدهما كان يأتيه السائل، فيستقل أن يعطيه التمرة والكسوة والجوزة، وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير، كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول: إنما وعد الله تعالى النار على الكبائر، فنزلت هذه الآية لترغيبهم في القليل من الخير يعطونه، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: " اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة " ولتحذرهم اليسير من الذنب. ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لعائشة: " إياك ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالباً ". وقال ابن مسعود: هذه الآية أحكم آية في القرآن وأصدق، وقال كعب الأحبار: لقد أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم آيتان أحصتا ما في التوراة والإنجيل والزبور والصحف {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ}

❖ إن قلت: كيف عم، مع أن حسنات الكافر محبطة بالكفر، وسيئات المؤمن الصغائر مغفورة باجتناب الكبائر؟

▪ أجيب بأن المعنى يرى كل من المؤمن والكافر حسناته وسيئاته مكتوبة في الصحف، ولا يلزم من رؤيتها جزاؤه عليها، لما ورد عن ابن عباس: ليس من مؤمن وكافر عمر خيراً كان أو شراً، إلا أراه الله إياه، فأما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فترد حسناته تحسراً ويعذب بسيئاته، وهذا يساعده النظم الكريم.

﴿٢٦٤﴾

{وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ – بأن رجحت سيئاته على حسناته –} [القارعة/٨]

قوله: (بأن رجحت سيئاته على حسناته) أي وأولى إذا عدمت حسناته رأساً

❖ إن قلت: إن ظاهر الآية يقتضي أن المؤمن العاصي، إذا زادت سيئاته على حسناته تكون أمة هاوية

▪ وأجيب: بأن ذلك لا يدل على خلوده فيها، بل إن عامله ربه بالعدل أدخل النار بقدر ذنوبه، ثم يخرج منها إلى الجنة.

﴿٢٦٥﴾

{ويْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ – كلمة عذاب أو واد في جهنم –} [الهمزة/١]

قوله: (كلمة عذاب) أي كلمة يطلب بها العذاب ويدعى بها، على هذا فتكون الجملة إنشائية، سوغ الابتداء بها مع كونها نكرة، قصد الدعاء عليهم بالهلكة.

❖ إن قلت: كيف يدعو الله بذلك، مع أنه هو المنشئ للأفعال كلها؟

▪ أجيب: بأنه طلب من نفسه إلحاق الويل لهم إظهاراً لآثار غضبه، كما يفعل الغضبان بمن غضب عليه، وتقدم ذلك.

﴿٢٦٦﴾

{فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ – كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفنته أي أهلكهم الله تعالى كل واحد بحجره المكتب عليه اسمه وهو أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة يخرق البيضة والرجل والفيل ويصل إلى الأرض وكان هذا عام مولد النبي صلى الله عليه و سلم – } [الفيل/٥]

قوله: (عام مولد النبي صلى الله عليه وسلم) أي قبل مولده بخمسين يوماً على الصحيح، وذلك ببركة النور المحمدي.

❖ إن قلت: إنه انتقل من عبد المطلب بل ومن عبد الله إلى أمه آمنة.

- أجيب بأنه وإن انتقل من جده وأبيه، إلا أن يتركه حاصلة وباقية في محله، كوعاء المسك إ ذا فرغ منه فإن رائحته تبقى، وقيل: كان عام الفيل قبل ولادته صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة، وقيل: بثلاث وعشرين، وقيل: غير ذلك.

﴿٢٦٧﴾

{إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ} * {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} * {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ} [الكوثر/١-٣]

قوله: {إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ} أي إن بجلالنا وعظمة قدسنا، فالإيتان بإن ونون العظمة للتأكيد ولزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم، والمعنى: قضينا به لك، وخصصناك به وأنجزناه لك في علمنا وتقديرنا الأزلي، وإن لم تستول عليه وتتصرف فيه إلا في القيامة، فالعطاء ناجز، والتمكن والاستيلاء مستقبل.

❖ إن قلت: إنه عبر هنا بالماضي، وفي الضحى بالمضارع حيث قال: {وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ} [الضحى: ٥] فكيف الجمع بينها؟

- أجيب: بأن ما في الضحى باعتبار التمكن والاستيلاء، وذلك يحصل في المستقبل في يوم القيامة، وما هنا باعتبار التقدير الأزلي.

﴿٢٦٨﴾

{لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} [الكافرون/٢]

قوله: {لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} اعلم أنه اختلف المفسرون في هذه السورة، هل

فيها تكرار أو لا؟ فعلى الأول: هو للتأكيد، وفائدة قطع أطماع الكفار، وتحقيق إخبار بأنهم لا يسلمون أبداً. وعلى الثاني: فكل جملة مقيدة بزمن غير الزمن الذي قيدت به الأخرى. فدرج المفسر على أن النفي الأول محمول على الحال، والثاني على الاستقبال، ودرج غيره على العكس، وما يصح أن يكون موصولة بمعنى الذي، فإن كان المراد بها الأصنام كما في الأولى والثالثة فالأمر واضح، لأنهم غير عقلاء وما لغير العاقل، وأما الثانية والرابعة فإما أن تكون واقعة على الله تعالى، وتكون دليلاً لمن يجوز وقوعها على العالم، أو تجعل مصدرية والتقدير: ولا أنتم عابدون عبادتي، أي مثل عبادتي، ويصح أن يكون جميعها مصدرية أو موصولة، أو الأوليان موصولتان، والأخريان مصدريتان، فتحصل أن ما في هذه السورة فيها أربعة أقوال، الأول، أنها كلها بمعنى الذي. الثاني: أنها كلها مصدرية. الثالث: أن الأوليين بمعنى الذي، والآخريين مصدريتان. الرابع: أن الأول والثالثة بمعنى الذي، والثالثة والرابعة مصدرية.

❖ إن قلت: ما الحكمة في التعبير في جانبه صلى الله عليه وسلم بلفظ {أَعْبُدُ} وفي جانبهم بلفظ {عَبَدتُّمْ}؟

- أجيب: بأنه صلى الله عليه وسلم وإن كان يعبد الله تعالى قبل البعثة، إلا أنه لم يدع الناس إلا بعدها، فلم يشتهر بها إلا حين الدعوة، وأما هم فكانوا متلبسين قديماً بعبادة الأصنام متظاهرين بها.

﴿٢٦٩﴾

{ فسبح بحمد ربك – أي متلبسا بحمده – واستغفره إنه كان توابا – وكان صلى الله عليه و سلم بعد نزول هذه السورة يكثر من قول : سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه وعلم بها أنه قد اقترب أجله وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان وتوفي صلى الله عليه و سلم في ربيع الأول سنة عشر– } [الحجر/٩٨]

قوله: (توفي صلى الله عليه وسلم سنة عشر)

❖ إن قلت: إن سنة عشر حج فيها وتوفي فيها ولده إبراهيم، فالصواب سنة إحدى عشرة.

- وأجيب: بأن المراد على تمام عشر من الهجرة إلى المدينة، وذلك لأن الهجرة كانت لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأول، وكانت وفاته لاثنتي عشرة خلت من ربيع أول، فكانت وفاته صلى الله عليه وسلم على رأس العاشرة، بالنظر لجعل التاريخ من الهجرة، وإن كانت لشهرين وشيء مضت من الحادية عشرة، إذا اعتبر التاريخ من أول السنة الشرعية وهو المحرم، فيصح أن يقال: توفي سنة إحدى عشرة، بالنظر لجعل التاريخ من المحرم، وتوفي سنة عشرة بالنظر لجعل التاريخ من يوم دخول المدينة.

﴿٢٧٠﴾

{وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ} [المسد/٤]

قوله: {حَمَّالَةَ الْحَطَبِ}

❖ إن قلت: إنها كانت من بيت العز والشرف، فكيف يليق بها حمل الحطب؟

- قلت: إنها لشدة عداوتها للنبي صلى الله عليه وسلم لا تستعين في ذلك بأحد، بل تفعله بنفسها.

﴿٢٧١﴾

سورة الفلق

[مكية أو مدنية وآياتها خمس]

نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد اليهودي النبي صلى الله عليه و سلم في وتر به إحدى عشرة عقدة فأعلمه الله بذلك وبمحله فأحضر بين يديه صلى الله عليه و سلم وأمر بالتعوذ بالسورتين فكان كلما قرأ آية منها انحلت عقدة ووجد خفة حتى انحلت العقد كلها وقام كأنما نشط من عقال { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) } [الفلق/١-٥]

قوله: (لما سحر لبيد) أي ابن الأعصم، وحاصله أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية في ذلك الحجة، ودخل المحرم سنة سبع، وفرغ من وقعة خيبر، جاءت رؤساء اليهود إلى البيد بن الأعصم، وكان حليفاً في بني زريق وكان ساحراً، فقالوا: أنت أسحرنا أي أعلمنا بالسحر، وقد سحرنا محمداً فلم يؤثر فيه سحرنا شيئاً، ونحن نجعل لك جعلاً عل أن تسحره لنا سحراً يؤثر فيه، فجعلوا له ثلاثة دنانير، فأتى غلاماً يهودياً كان يخذم النبي، فلم يزل به حتى أخذ مشاطة رأس النبي صلى الله عليه وسلم، وعدة أسنان من مشطه وأعطاه له فسحره بها، وكان من جملة السرح، صورة من شمع على صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد جعلوا في تلك الصورة إبراً مغروزة إحدى عشرة، ووتر فيه إحدى عشرة عقدة، وكان النبي صلى الله عليه وسلم كلما قرأ آية انحلت عقدة، وكلما نزع إبرة وجد لها ألم في بدنه، ثم يجد بعدها راحة، وكانت مدة سحره صلى الله عليه سلم أربعين يوماً، وقيل: ستة

أشهر، وقيل: عاماً، قال ابن حجر وهو المعتمد

❖ إن قلت: كيف يؤثر السحر فيه صلى الله عليه وسلم مع أنه معصوم بنص {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة: ٦٧]؟

▪ أجيب: بأن المعصوم منه ما أدى لخبل في عقله، أو لضياع شرعه أو لموته، وأما ما عدا ذلك، فهو من الإعراض البشرية الجائزة في حقه، كما أن جرحه وكسر رباعيته، لا يقدح في عصمته، وأنكر بعض المبتدعة حديث السحر، زاعمين أنه يحط منصب النبوة ويشكك فيها، وما أدى لذلك فهو باطل، وزعموا أيضاً أن تجويز السحر على الأنبياء، يؤدي لعدم الثقة مما أتوا به من الشرائع، إذ يحتمل أن يخيل إليه أن يرى جبريل يكلمه وليس هو، ثم وهذا كله مردود، لقيام الدليل على ثبوت السحر بإجماع الصحابة، وعصمته صلى الله عليه وسلم وجميع الأنبياء، وصدقهم فيما يبلغونه عن الله، وأما ما كان متعلقاً بأمور الدنيا، فهم كسائر البشر تعتريهم الأعراض، كالصحة والسقم والنوم واليقظة والتألم بالسحر ونحو ذلك، وأما ما ورد في قصة السحر، مع أنه كان يخيل إليه أنه يأتي أهله ولم يأت، فمعناه أنه يظهر له من نشاطه وسابق عادته الاقتدار على الوطء، فإذا دنا من المرأة فتر عن ذلك، كما هو شأن المعقود، وتسمية العامة المربوط لما ورد: أنه حبس عن عائشة سنة، وعن ابن عباس: أنه مرض وحبس عن النساء والطعام والشراب، ففي ذلك دليل على أن السحر، إنما تسلط على ظاهره جسده، لا على عقله، ثم اعلم أن مذهب أهل السنة، أن السحر حق وله حقيقة، ويكون بالقول والفعل، ومن جملة أنواعه: السيمياء وهي حيل صناعية، يتوصل إليها بالاكتساب، غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس، ومادته الوقوف على خواص الأشياء،

والعلم بوجوه تركيبها وأوقاتها، وأكثرها تخيلات، فيعظم عند من لا يعرف ذلك، والحق أنه من الأسباب العادية التي توجد الأشياء عندها لا بها، فيؤثر في القلوب كالحب والبغض وإلقاء الخير والشر، وفي الأبدان بالألم والسقم، وأما قلب الجماد حيواناً وعكسه فباطل لا يتصور، إذ لو قدر الساحر على هذا، لقدر أن يرد نفسه إلى الشباب بعد الهرم، وأن يمنع نفسه من الموت، وهو حرام إن لم يكن بما يعظم به غير الله، أو يعتقد تأثيره بنفسه، وإلا فهو كفر.

﴿٢٧٢﴾

{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} * {مَلِكِ النَّاسِ} * {إِلَهِ النَّاسِ} * {مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ} * {الَّذِى يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ} * {مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ}[الناس/١-٦]

- ❖ إن قلت: ما الحكمة في وصف الله تعالى في هذه السورة نفسه بثلاثة أوصاف، وجعل المستعاذ منه شيئاً واحداً، وفي السورة قبلها بعكس ذلك، لأن وصف نفسه بوصف واحد؛ وجعل المستعاذ منه أربعة أشياء.
- ■ أجيب: بأنه في السورة المتقدمة المستعاذ منه أمور تضر في ظاهر البدن، وهنا وإن كان أمراً واحداً، إلا أنه يضر الروح، وما كان يضر الروح يهتم بالاستعاذة منه.
- ❖ إن قلت: كان مقتضى الظاهر تقديم ما به الاهتمام، وهو الاستعاذة من شر الوسواس، إذ سلامة الروح مقدمة على البدن.
- ■ أجيب: بأن سلامة البدن وسيلة للمقصود بالذات؛ وهو سلامة الروح.